
مجلة البيان – العدد 76 ، ذو الحجة 1414هـ / مايو 1994م

كلمة صغيرة

على صوت مدافع الصرب وهي تـقـصـف مــدينة "غوراجدة" يتم تصميم مخطط التدخل العسكري في المنطقة الجغرافية المرشحة لاحتـضـان العدو القادم.. تلك التي يلونها الدين الإسلامي وإن تباينت فيما عداه.

هكذا تفكر النخب السياسية الغربية من روسيا إلـى أمريكا ، بالرغم من اختلاف الرؤى وصراع الأطماع فيما بينها.

ويبقى حل مأساة البوسنة مرتبطاً بإبقاء النزيف محـصـوراً فـي المنطقة المحددة ، إذ لو تعداها لاختلطت الأوراق بصورة قد تفسد جوانب من خطط اسـتـراتيجـيـة أبعد مدى في الزمان والمكان ، لذا فإنه لا مانع من تقديم المهدئات ذات الصوت الضخم إعلامياً والأثر الهزيل واقعياً.

إن لنا أن نطرح هنا سؤالاً صغيراً بحجم هذه الكلمة الصغيرة: ماذا بقي للجوقة الإعلامية في العالم العربي من شروحات وتحليلات كي تقدمها وتفسر بها إغراق الأصوليين (زعموا) في وهم ضخم اسمه "نظرية المؤامرة"؟!

الافـتـتـاحـيـة

أما آن للسيوف أن تغمد..!

رسالة لإخوة الجهاد في أفغانستان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام عـلـى نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد..

حينما انطلقت شعلة الجهاد الأولى ولم يُلق أحـد لكم بالاً ، بل عده بعضهم طيشاً وتهوراً، فكيف يستطيع همج رعاع من رجال البوادي والجبال أن يقفوا أمام قوة نووية كبرى..؟! ومـا هـي إلا أشـهـــر يسـيـرة حتـى سارت الركبان بأخـبار انتصاراتكم وبطولاتكم ، التي أدهشت جميع المراقبين والمحـلـلين وأصبـحـت الشغل الشاغل للساسة والإعلاميين ورجال الاستخبارات.

كانت هذه الشعلة المباركة روحاً جديدة سرت في العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه، دبت الحياة في نفوس كثير من المسلمين ، فراية الجهاد التي ظلت منكسة عقوداً متتابعة في ظل أنظمة العجز والتبعية ، شمخت بكل إباء وشمم على ربى أفغانستان ، لتثبت للعالم أجمع أن الإسلام لازال حياً، ولازال قوياً قادراً على العطاء. التفت جموع المسلمين على رايتكم، وتقـاطـــر الشـبـاب من كل مكان إلى أرضكم ، يتربى على روابيكم وجبالكم ، تاركاً

وراءه النساء والأولاد والأمـــوال ومن حبسه العذر منهم ، ظل قلبه معلقاً بكم ، تحدثه نفسه بالجهاد يوماً بعد يوم.
كل انتصار لكم كان يهز قلـوب المسلمين ، ويزيد من حميتهم وأملهم في الله العظيم ، فقد أصبحتم ملء بصر العالم وسـمـعــه ، وأصـبحتـم »قضية المسلمين الأولى« . ألوف من الشهداء نحتسبهم عند الله تعالى .. ألوف من الجرحي والمعاقين .. ألوف من الأيتام والأرامل.. لقد كانت التضحيات جسيمة ، والأرواح العبقة الطاهرة التي نحسبها استشهدت في سبيل الله ما كانت في يوم من الأيام عقبة تحد من عزائمكم، بل كـانـت حـاديـاً إلى مزيـد من العطاء والبذل والتضحية ، ومازالت تلك القبور المتناثرة على الهضاب والجـــبـــال رمزاً من رموز الشـهـامة والكرامة ، ومازالت تلك الدماء الزكية تلون الصخور ورؤوس الجبال بـأزهـــى الألوان وأعطرها.
كنا نسمع أخبار الشهداء وتضحيات الأبطال، ثم نرى دموع الشباب، بل والشيوخ تتساقط شوقاً إلى الشهادة ، كلهم يتمنى أن يكون ذلك الشهيد. ثم.. كانت الثمرة بحمد الله وفضله نصراً مؤزراً ، حينما سقطت كابل بأيدي المجاهدين ، وتفرقت فلول الشيوعيين ، وتعالت تكبيرات المسلمين فرحاً بنصر الله تعالى ، وجاء البشير يعطر أسماعنا بهذا الفتح المبارك ، حتى أصبحت آثار السعادة والفرح تُرى على الوجوه، وضـجــت مساجد المسلمين بالدعاء والثناء على الله ، وحمده والشكر له.
بدأت جـمــوع المهاجرين في بيشاور وغيرها تحزم الأمتعة ، وتعود إلى وطنها فرحة بنصر الله ، استيقظ الأمل في نفوسهم ، فما أحلى العودة إلى الدور التي هجرت ، والمزارع التي أقفرت.. فضلاً عن حنين الصبية الذين ولدوا في المهجر يشدهم إلى المنزل الأول الذي طالما سمعوا عنه من آبائهم وأمهاتهم.
نعم فتحت كابل وتحررت من أسر الشيوعيين ، ولكن ما الذي حدث بعد ذلك؟!
هل قامت دولة الإسلام الموعودة،وحكمت بالكتاب والسنة..؟! هل ارتفعت راية التوحيد، وتساقطت رايات الجاهلية..؟ هل اندحر الشيوعيون والعلمانيون والنفعيون،وشمخت رؤوس الموحدين الأبرار..؟! هل تساقطت الأحزاب والتجمعات القبلية، واجتمع الناس على كلمة سواء..؟! هل رسم المجاهدون خططهم لترسيخ الإسلام في بلادهم، وتعـلـيـم الناس أصوله وقواعده العامة..؟! هل ضمدت الجراح، وجفت الدماء، وبدأت رحلة الإعمار والبناء..؟! هل.. وهل.. أسئلة تتلاحق ، ولكن إجابتها جميعها مع الأسف الشديد واحدة لا تتغير: لم يحدث شيء من هذا على الإطلاق..!!
إذاً ما الذي حدث..؟! تحـولت مدافع المجاهدين إلى إخوانهم يقـتـل بعضـها بعضـاً ، ويسـفك بعضـهم دماء بعض..! بنيـت تحـالفات جـديدة مـدارها على المصـالح الحزبية ، والمنافع القبلية..! أصبح المتصارعون لا يجيدون إلا لغة

الرصاص.. والتدمير!.. كان النداء الكريم الذي يشحذ الهمم ويقوي العزائم هو: الله أكبر.. الله أكبر ، ولكن أخشى أن نداء الغنيمة أصبح أرفع صوتاً..!
لم يستطع الشيوعيون أن يعتدوا على المساجد خوفاً من غضبة الشعب أما صراعات الإخوة فقد وصلت إلى المساجد فدمرت بعضها..!! عند ذلك عادت فلول المهاجرين تحمل متاعها ثانية هاربة من كابل ، ولكنها هذه المرة لا تهرب من الشيوعيين ، بل من تقاتل »المجاهدين«!!
وظلم ذوي القربى أشد مضاضةعلى الحرّ من وقع الحسام المهنّد
عاد الشيوخ والعجزة والنساء ثانية إلى مهاجرهم ، بقلوب امتلأت خيبة وحسرة وإحباطاً.. أهذه ثمرة الجهاد التي نتطلع إليها..؟! أهذا هو ثمن النفوس الزكية والجراحات الندية..؟! أهذا هو ثمن الدموع والدماء والأشلاء المتناثرة هنا وهناك..؟! أربعة عشر عاماً من اللأواء والعنت وألوان المصاعب والأهوال.. أتضيع وتتآكل أمام النعرات القبلية والأهواء الحزبية والحظوظ الشخصية..!

أيها المجاهدون:

كنا نتابع أخباركم يوماً بيوم ، وننصت سامعين لمن يُحدّثنا عن أحوالكم وانتصاراتكم بكل فخر، وتلهج ألسنتنا بالدعاء لكم، ثم ها نحن اليوم نستحي ونتألم حينما نسمع صراعاتكم وتنافسكم على اقتسام السلطة.. إي والله نستحي لأنكم أصبحتم مادة لسخرية العلمانيين وتهكمهم..!
لقد حاول كثير من الإعلاميين استغلال هذا الحدث لإثبات فشل تجربة الجهاد الأفغاني برمته ، بل أرادوا التسلق بذلك إلى القدح في كل عمل إسلامي في أي مكان كان..!
والذي ينبغي تأكيده أن للجهاد الأفغاني فوائد إيجابية كثيرة ، وكثيرة جداً ، منها إحياء تلك الفريضة التي أريد إماتتها في النفوس قروناً طويلة، وظهر أن المسلمين يمكن أن يكونوا قوة تُهاب متى ما استغلت مشاعرهم الإسلامية وقادهم أناس صالحون مصلحون ، وإثبات أن ديننا الحنيف هو الطريق المستقيم لإعادة مجد القوة والمنعة لأمتنا،ولا طريق آخر غيره، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما طلبنا العزة في غيره أذلنا الله. وهذه المحن الأخيرة يجب أن يستفيد منها المسلمون ، وعليهم أن يدرسوا المحاسن والمساوىء بموازين منهجية متجردة ، لتكون رصيداً فاعلاً يُضاف لرصيد التجربة الإسلامية المعاصرة.

ولهذا نقول لكم أيها المجاهدون بكل صدق:

اتقوا الله في الفتوح المباركة التي فتحها الله على المسلمين.. اتقوا الله في الأرواح التي استشهدت.. اتقوا الله في الشيوخ والعجزة والنساء والصبيان..
اتقوا الله.. اتقوا الله.. اتقوا الله..!!

((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم))(1). ((وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم))(2).

بحـوث شـرعية

التفسير بالمأثور
نقد للمصطلح وتأصيل

مساعد سليمان الطيّار

إن المصطلحات العلمية يلزم أن تكون دقيقة في ذاتها ونتائجها، وإلا وقع فيها وفي نتائجها الخلل والقصور، ومن هذه المصطلحات التي حدث فيها الخـلل مصطلح (التفسير بالمأثور)، وفي هذا المصطلح أمران: أنواعه ، وحكمه.

أما أنواعه، فقد حدّها من ذكر هذا المصطلح من المعاصرين بأربعة، هـي: (تفـسـيـر القـرآن بالقرآن ، وبالسنة ، وبأقوال الصحابة ، وبأقوال التابعين).(1)

وغالباً ما يحكي هؤلاء الخلاف في جعل تفسير التابعي من قبيل المأثور.(2)

وأما حكمه ، فبعض من درج على هذا المصطلح ينتهي إلى وجوب الأخذ به.(3)

وأقدم من رأيته نص على كون هذه الأربعة هي التفسير بالمأثور الشيخ محمد بن عبدالعظيم الـزرقـانـي ، حيث ذكر تحت موضوع (التفسير بالمأثور) ما يلي: »هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة تبايناً لمراد الله من كتابـه« ثم قال: »وأما ما ينقل عن التابعين ففيه خلاف بيـن العلماء: منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالباً ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي«.(4)

ثم جاء بعده الشيخ محمد حسين الذهبي (ت: 1977 م) فذكر هذه الأنواع الأربعة تحت مصطلح (التفسير المأثور) ، وقد علل لدخول تفسير التابعي في المأثور بقوله: »وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما روي عن التابعين وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الـرأي؟ لأننا وجدنا كتب التفسير المأثور كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ما ذكر مما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وما روي عن الصحابة ، بل ضمنت ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير«(5).

منشأ الخطأ في هذا المصطلح:

إنه فيما يظهر قد وقع نقل بالمعنى عـمـن سبق أن كتب في هذا الموضوع وبدلاً من أن يؤخذ عنه مصطلحه استبدل به هذا المصطلح الـــذي لم يتواءم مع هذه الأنواع ، ولا مع حكمها كما سيأتي.

والمصدر الذي يظهر أن هذه الأنواع نُقلت مـنــه هو رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة (مقدمة في أصول التفسير).
وقد وردت هذه الأنواع الأربعة تحت مـوضــوع (أحسن طرق التفسير)(6) فهي عند شيخ الإسلام (طرق) وليست (مأثوراً).
ولو تأملت النقلين السابقين ، فإنك ستجد أنهـمـا يحكيان الخلاف في كون تفسير التابعي مأثوراً أم لا.
وستجد هذا موجوداً في رسالة شيخ الإسلام ، ولكن البحث فيه ليس عن كونه مأثوراً أم لا ، بل عن كونه حجة أم لا؟
وبين الأمرين فرق واضحٌ ، إذ لم يرد عن العلماء هل هو مأثور أم لا؟ لأن هذا المصطلح نشأ متأخراً ، بل الوارد هل هو حجة أم لا؟
وإن كان هذا التأصيل صحيحاً ، فإن اصطلاح شيخ الإسلام أدق من اصطلاح المعاصرين ، وأصح حكماً.
فهذه التقسيمات الأربعة لا إشكال في كونها طرقــاً، كـمــا لا إشكال في أنها أحسن طرق التفسير ، فمن أراد أن يفسر فعليه الرجوع إلى هذه الطرق.

نقد مصطلح (التفسير المأثور):

مصطلح المعاصرين عليه نقد حيث يتوجه النقد إلى أمرين وإليك بيانه:
1- ا يتعلق بصحة دخول هذه الأنواع في مسمى (المأثور).
2- ما يتعلق بالنتيجة المترتبة عليه ، وهي (الحكم).
أما الأول: فإنه يظهر أن هذا المصطلح غير دقيق في إدخال هذه الأنواع الأربعة فيه ، فهو لا ينطبق عليها جميعاً، بـل ويـخــرج مـا هــو منها، فهذا المصطلح غير جامع ولا مانع لسببين:
أ- أن المأثور هو ما أثر عمن سلف ، ويطلق في الاصطلاح على ما أُثر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم.
فهل ينطبق هذا على تفسير القرآن بالقرآن؟
إن تفسير القرآن بالقرآن لا نقل فيه حتى يكون طريـقــه الأثر ، بل هو داخل ضمن تفسير من فسر به.
* فإن كان المفسر به الرسول -صلى الله عليه وسلم- فهو من التفسير النبوي.
* وإن كان المفسر به الصحابي ، فله حكم تفسير الصحابي.
* وإن كان المفسر به التابعي ، فله حكم تفسير التابعي.
وهكذا كل من فسر آية بآية فإن هذا التفسير ينسب إليه.
ب- أن المأثور في التفسير يشمل ما أثر عن تابعي التابعين كذلك ومن دوّن التفسير المأثور فإنه ينقل أقوالهم ، كالطبري (310) وابن أبي حاتم (ت: 327) ، وغيرهما.

بل قد ينقلون أقوال من دونهم في الطبقة، كمالك بن أنس ، وغيره. ولو اطلعت على أوسع كتاب جمع التفسير المأثور، وهـــو (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) لرأيت من ذلك شيئاً كثيراً.

ولو قُبلت العلة التي ذكرها الشيخ مـحـمــد حسين الذهبي في إدخاله تفسير التابعين في المأثور ، لصح تنزيلها على المأثور عن تابعي التابعين ومن دونهم.

وقد نشأ الخطأ في تصور ونقل الخلاف في تفـسـيـر الـتـابعي ، وهل يندرج تحت التفسير بالمأثور ، أم لا يصح أن يوصف بأنه تفسير مأثور؟ ونزّل كلام العلماء خطأً في حكم تفسير التابعي على قضية كونه تفسيراً مأثوراً أم غير مأثور ، ولم يكن حديث العلماء على كونه مأثوراً أم غير مأثور ، إذ لم يكن ذلك المصطلح معروفاً ولا شائعاً في وقتهم.

وأما الثاني وهو ما يتعلق بالحكم فإن بعض من درج على هذا المصطلح نصّ على وجوب اتباعه والأخذ به(7) ، وهو مستوحى من كلام آخرين(8).

ومما يلحظ على هذا الحكم أنهم يحكون الخلاف في تفسير التابعي من حيث الاحتجاج ، بل قد حكى بعضهم الخلاف في تفسير الصحابي(9).

ثم يحكمون في نهاية الأمر بوجوب اتباعه والأخذ به،فكيف يتفق هذا مع حكاية الخلاف الوارد عن الأئمة دون استناد يرجح وجوب الأخذ بق ول التابعي ، فهم يمرون على هذا الخلاف مروراً عاماً بلا تحقيق.

ثم إن كان ما ورد عن الصحابة والتابعين مأثوراً يجب الأخـــذ بـه على اصطلاحهم فما العمل فيما ورد عنهم من خلاف محقق في التفسير؟ وكيف يقال: يجب الأخذ به؟

ومن نتائج عدم دقة هذا المصطلح نشأ خطأ آخر ، وهو جعل التفسير بالرأي مقابلاً للتفسير بالمأثور وهو الأنواع الأربعة السابقة حتى صار في هذه المسألة خلط وتخبط،وبنيت على هذا التقسيم معلومات غير صحيحة ، ومنها:

1- أن بعضهم يقررون في تفسير الصحابة والتابعين أنهم اجتهدوا وقالوا فيـه برأيهم ، ثم يجـعلون ما قالـوه بهذا الرأي من قبيل المأثور ناسـين ما مـرروه من قول بأنهم قالوا بالرأي ، فيجعل قولهم مأثوراً وقول من بعدهم رأياً ، فكيف هذا؟ وإذا كان الصـحـابـــة قالوا في التفسير برأيهم فلا معنى لتفضيلهم على غيرهم ممن بعدهم في هذه المسألة ، وهذا لا يعني مساواة من بعدهم بهم.

2- كما تجد أن كتب التفسير تُقسّم إلى كتب التفسير بالمأثور وكتب التفسير بالرأي، وعلى سبيال المثال يجعلون تفسير ابن جرير من قبيل التفسير بالمأثور ، ولو أردت تطبيق مصطلح التفسير بالمأثور ، فإنك ستجد اختيارات ابن جرير وترجماته ، فهل هذه من قبيل الرأي أم من قبيل المأثور؟ فإن كان الأول فكيف يحكم عليه بأنه مأثـور؟! وإن كان الثاني فـإنـه غير منطبق لوجود اجتهادات ابن جرير ، وفرق بين أن نقـــول: فيه تفسير بالمأثور ، أو نقول هو تفسير بالمأثور.

3- وقــد فـهـم بـعـض العلماء أن من فسر بالأثر فإنه لا اجتهاد ولا رأي له بل هو مجرد ناقل، لا عمل له غـيـر النقل ، ويظهر أن هذا مبني على ما سبق مــن أن التفسير بالمأثور الذي يشمل الأربعة السابقة يقابله التفسير بالرأي. ومن ذلك ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور*: »أما الذين جمدوا على القول بأن تفسير القرآن يجب ألا يعدو ما هو مأثور ، فهم رموا هذه الكلمة على عواهـنهــا ، ولم يوضحوا مرادهم من المأثور عمن يؤثر...«. ثم قال: »وقد التزم الطـبـري في تفسـيره أن يقتصر على ما هو مروي عن الصحابة والتابعين لكنه لا يلبث في كل آية أن يتخطى ذلك إلى اختياره منها،وترجيح بعضها على بعـض بشواهد من كلام العرب ، وحسبه بذلك تجاوزاً لما حدده من الاقتصار على التفسـير بالمأثور ، وذلك طريق ليس بنهج ، وقد سبقه إليه بقي بن مخلد ، ولم نقف على تفـسـيـره، وشاكل الطبري فيه معاصروه ، مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم، فلله درّ الذين لم يحبسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور،مثل الفراء وأبي عبيدة من الأولين ، والزجاج والرماني ممن بعدهم ، ثم من سلكوا طريقهم، مثل الزمخشري وابن عطية«.(10)

وها هنا وقفات ناقدة لهذا الكلام:

الأولى: لم يصرح الطـاهـر بن عاشور بأولئك الذين »جمدوا على القـــــول بأن تفسير القرآن يجـب ألا يعدو ما هـو مأثور« وفي ظني أن هذا لم يُقَل بـه ولكنه تأوّلٌ لكلام من يرى وجوب الأخذ بما أثر عن السلف.
الثانية: لم يورد الشيخ دلـيــلاً من كلام الطبري يدلّ على التزامه بما روي عن الصحابة والتابعين فقط ، ولم يرد عن الطبري أنه يقتصر عليهم ولا يتعدى ذلك إلى الترجيح.
الثالثة: أنه جعل منهج الطبري كمنهج ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم ، وشتان بين منهج الطبري الناقد المعتمد على روايات الســلــف ومنهج هؤلاء الذين اعتمدوا النقل فقط دون التعقيب والتعليق ، وهذا المنهج الذي سـلـكـــوه لا يُعاب عليهم ؛ لأنهم لم يشترطوا التعليق على الآيات والتعقيب على المرويات ، بل كـانـــوا يــوردون ما وصلهم من تفاسير السلف ، وهم بهذا لا يُعدون مفسرين ، بل هم ناقلو تفسير.
ومن هنا ترى أن الشيخ بن عاشور يرى أن من التزم بالمأثور فإنه لا يكون له رأي كالطبري. وأنّ من لم يلتزم بالمأثور فلله دره! كما قال.
وقد سبق أن ذكرت لك أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم اعتمدوا التفسير بالرأي وقالوا به ، وإن من الأخطاء التي وقعت مقابلة أقوالهم التي هي من قبيل الرأي بأقوال أبـي عبـيدة والفراء وغيرهم ، بل الأعجب من ذلك أن تفاسيرهم اللغوية تجعل مــن الـمـأثور وتُـقـابل بتفاسير أبي عبيدة والفراء والزجاج اللغوية ، وتجعل هذه لغوية.
كل هذه النتائج حصلت لعدم دقة مصطلح التفسير بالمأثور.

ما هو التفسير بالمأثور:

بعد هذا العرض ، وتجلية مصطلح التفسير بالمأثور المعتمد في كتب بعض المعاصرين يتجه سؤال ، وهو: هل يوجد تفسير يسمى مأثوراً؟
والجواب عن هذا (نعم) ، ولكن لا يرتبط بحكم من حيث وجوب الاتباع وعدمه ، بل له حكم غير هذا.
فالمأثور هو ما أثر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته وعن التابعين وعن تابعيهم ممن عُرفوا بالتفسير ، وكانت لهم آراء مستقلة مبنية على اجتهادهم.
وعلى هذا درج من ألف في التفسير المأثور؛ كبقي بن مخلد ، وابن أبي حاتم والحاكم ، وغيرهم.
وقد حاول السيوطي جمع المأثور في كتابه (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) وذكر الروايات الــواردة عــن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته وتابعيهم وتابعي تابعيهم ومــن بعدهم.
وهذا لا يبنى عليه حكم من حيث القبول والرد ، ولكن يقال: إن هذه الطرق هي أحسن طرق التفسير ، وإن من شروط المفسر معرفة هذه الطرق.
أما ما يجب اتباعه والأخذ به في التفسير فيمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع:
الأول: ما صح من تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم-.
الثاني: ما صح مما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع كأسباب النزول والغيبيات.
الثالث: ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون ؛ لأن إجماعهم حجة يجب الأخذ به.
الرابع: مــا ورد عن الصحابة خصوصاً أو عن التابعين ممن هم في عصر الاحتجاج اللغوي من تفسير لـغــوي ، فإن كان مجمعاً عليه فلا إشكال في قبوله ، وحجيته ، وإن ورد عن واحد منهم ولم يعرف له مخالف فهو مقبول كما قال الزركشي: »ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان ، فلا شك في اعتمادهم«.(11).
وإن اختلفوا في معنى لفظة لاحتمالها أكثر من معنى ، فهذا يعمد فيه إلى المرجحات.
أما ما رووه عن التابعي فهو أقل في الرتبة مما رووه عن الصحابي ، ومع ذلك فإنه يعتمد ويقدم على غيره.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

هـوامـش:

(1)انظر على سبيل المثال: مناهل العرفان للزرقاني 2/1213 ، التفسير والمفسرون للذهبي 1/154 مباحث في علوم القرآن لمناع القطان.
(2)انظر مثلاً : مناهل العرفان 2/13 ، التفسير والمفسرون 1/154 لمناع القطان 347.

(3)انظر مثلاً: مباحث في علوم القرآن ، 350 ، وهذا ما يتوحى من عبارة الزرقاني.
(4)مناهل العرفان 2/1213.
(5)التفسير والمفسرون 1/15.
(6)مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق: عدنان زرزور ، ص 93.
(7)انظر: مباحث في علوم القرآن للقطان ، 350.
(8)كالزرقاني ، والذهبي ، والصباغ (لمحات في علوم القرآن ، 177 وما بعدها).
(9)لمحات في علوم القرآن ، 180.
(10)التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، 1/32 ، 33.
(11)البرهان في علوم القرآن ، 2/172.
* تفسير الطاهــر بن عاشــور المعروف (بالتحرير والتنوير) بالرغم من شموله واستقصائه لما يفسره من آيـات، إلا أن منهجه العقدي أشعري يؤول آيات الصفات. وللمزيد انظر الكتاب القيم (المفسرون والتأويل) للشيخ محمد المغراوي المغربي، من مطبوعات دار طيبة بالرياض.

من فقـه الدعـوة

نظـرات تربـويـة في خلق الصدق

عبد العزيز بن ناصر الجليل

في الحلقة الأولى، تطرق الكاتب إلى منزلة الـصـدق العظيمة، ومبررات تناول هذا الموضوع، وحقيقة الصدق والفرق بين الصدق والإخلاص، ونـواصــلـ مــع الكاتب نظرات أخرى في الموضوع.
-الـبـيـان-

وعلى ضوء ما سبق يتضح للقارىء الكريم أن الصدق أنواع ومراتب تتجلى فيما يلي:

1- صـدق الـنـيـة:

وذلك بأن تكون النية خالصة لله عز وجل وابتغاء مرضاته ، وأن لا يكون هناك باعث في الحركات والسكنات إلا مرضاة الله عز وجل ، فإن شاب النية شيء من حظوظها لم تكن صادقة ، وإن تكلم العبد بلسانه خلاف ما في قلبه فهذا أيضاً دليل على عدم الصــدق في النية ، والأدلة في ذلك كثيرة منها قوله تعالى في وصف المنافقين: ((يقولون بألسنتهـم ما ليس في قلوبهم))[الفتح: 1] وقوله تعالى:((من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون))[هود:15،16].

ومن الصدق في الـنـيـة: الصدق في العزيمة على الفعل إذا تمكن منه، لأن النية قد تكون صادقة، لكن العزيمة على الفعل ضعيفة وصاحبها متردد،وقد تكون العزيمة صادقة،لكن إذا جــد الـجـــــد، وعزم الأمر، وهاجت الشهوات خارت وضعفت، ولم يحصل الوفاء بالعزيمة، وقد لا تضعف في البداية لكن إذا باشرت الفعل وذاقت مرارته ضعفت وخارت، والموفق من وفقه الله تعالى وأمده بعونه ورحمته، ولو وكل العبد إلى نفسه ضاع وهلك، فيا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين أبداً.

2- الصـدق في الأقـوال:

وذلك لا يكون إلا في الأخبار ، أو مــــا يتضمن الإخبار ، والخبر إما أن يتعلق بالماضي فلا يخبر عن الأشياء على خلاف ما هي عليه ، أو بالمستقبل كالوفاء بالوعد والعهد(1).

وهذه المرتبة من الصدق هي التي يحصر كثير من الناس الصدق فيها ، ولا يتجاوزونها إلى غيرها ، ولا شك أنها مرتبة عظيمة وتكميلها من أعز الأمور وأشقها على النفس ، ولكنها يسيرة على من يسرها الله عليه ، وجاهد نفسه في تحقيقها.

صور من الصدق في الأقوال:

والصدق في الأقوال له صور عديدة منها:

أ- الصدق في نقل الأخبار:

فلا ينقل المسلم إلا الأخبار الصادقة ، وهذا بدوره يتطلب مــن الناقل التثبت فيما يقال ، واجتناب الظنون والأوهام والحذر من التحدث بكــل مــــا يُسْمَعُ ، فمن حفظ لسانه من الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه ، فهو صادق في خبره وهذا يقتضي الابتعاد عن الظنون والإشاعات. قال -صلى الله عليه وسلم-: »إياكم والـظـن فـــــإن الظن أكذب الحديث«(2) ، وقال: »كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع« (3).

ب- الصدق في الوعد:

لأن إعطاء الوعد غالباً ما يكون بالقول ، فالوفاء بالوعد من الصدق في الأقوال ، وإخلافه يعد كذباً ، إلا إذا كانت النية عند إعطاء الوعد صادقة ثم حال بينه وبين تنفيذ الوعد أمر خارج عن إرادته ، فإن هذا لا يعد إخلافاً للوعد وبالتالي لا يعتبر كذباً ، والوعد قد يكون على مكان معين أو في زمن معين أو على أعطية أو زواج أو أي أمر آخـــر يعـد به الرجل أخاه ، فإن الإخلاف في هذه الأمور وأمثالها بدون مبرر شرعي يعتبر كذباً لقوله تعالى: ((واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاْ نبياْ))[مريم:54].

ج -الوفاء بالعقود والعهود:

وهذا أيضاً من الصدق في الأقوال ، فإخلاف العهد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب. قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود))[المائدة:1] وقال

تعالى: ((والموفون بعهدهم إذا عاهدوا))[البقرة:177]. ومن الوفاء بالعهد حفظ الأسرار وكتمانها ، ولعل قوله -صلى الله عليه وسلم- في التحذير من صفات المنافقين خير شاهد لما سبق ذكره ، يـقـــول صلى الله عليه وسلم: »أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهـن كان فيه خصلة من النفاق: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر«(4).

3- الصـدق في الأعـمال:

وهو استواء الأفعال على الأمر والمتابعة ، وأن يجاهد العبد نفسه في أن تكـــون ســريـرتـه وعلانتيه واحدة ، وأن لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصـف بـه حـقيقة: كمن يتظاهر بالخشـوع في الظاهر والقلـب ليس كذلك أو يتظاهر بالحرقة على الدين والغيرة على المحــارم وهو في الباطن ليس كذلك والصور كثيرة جداً فمنها صور الرياء المختلفة، والـقـول باللسان ما ليس في القلب ، وهذا لا يعني أن يترك المرء الأعمال الصالحة حتى يصلح باطنه، كلا ولكن يجاهد نفسه في أن يستحيل باطنه إلى تصديق ظاهره، يـقـــــول صـاحـب الإحياء: »إن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص ، وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق« ، وقال يزيد بن الحارث: »إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النّصَفُ ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور« ، وقال معاوية بن مرة: »من يدلني على بكّاء في الليل بسّام في النهار؟« أ.هـ.

4- الصـدق في مقامات الدين:

وهو أعلـــى الـدرجـــات وأعزها ، الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور مباديء ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها ، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه ، كما يقال: فلان صدق القتال ، ويقال: هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة... وقال الله تعالى: ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثـم لـم يـرتـابــوا)) إلى قوله ((أولئك هم الصادقون)) [الحجرات:15] وقال:((ولـكـن البـر مـن آمـن بالله والـيـوم الآخـر)) إلـى قـولـــــه:((أولـئــك الـذيــن صدقوا))[البقرة:177].

من علامات الصدق:

إن للصدق علامات ومظاهر تنفي ضدها ، وإذا لم توجد أو كانت ضعيفة فإن ذلك دليل على ضعف الصدق ، وتسلط العوائق عليه ، ومن هذه العلامات ما يلي:

1- طمأنينة القلب واستقراره:

إن الصدق في جميع الأحوال باطنها وظاهرها يورث الطمأنينة والسكينة في القلب ، وينفي عنه التردد والريبة والاضطراب التي لا توجد إلا في حالات الشك وضعف الصدق أو عدمه ، يقول صلى الله عليه وسلم: »دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة« (5).

2- الزهد في الدنيا والتأهب للقاء الله عز وجل:

ومن علامة طمأنينة القلب النابعة من الصدق انشراحه وزهده في الدنيا والتأهب للآخرة ، قال تعالى: ((فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً كأنما يصعد في السماء))[الأنعام:125] ، لما نزلت هذه الآية سئل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن شرح الصدر فقال: »نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح«،قيل فهل لذلك أمارة؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور،والاستعداد للموت قبل نزول الموت« (6).

فالصادق مع الله عز وجل لا تراه إلا متأهباً للقاء ربه ، مستعداً لذلك بالأعمال الصالحة ، والقيام بأوامر الله عز وجل والانتهاء عن نواهيه ، يريد بذلك وجه الله عز وجل متبعاً في ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم .

3- سـلامة القلـب:

إن من علامة الصدق سلامة القلب ، وخلوه من الغش والحقد والحسد للمسلمين ، فالعبد المؤمن الصادق في إيمانه لا يحمل في قلبه غلاً للمؤمنين ولا شراً، بل إن حـب الـخـيـــر والنصح للمسلمين هو طبعه وعادته ، وهذه الحالة القلبية تظهر علاماتها على الأعمال ، وذلك بتجنب الظلم والعدوان والاستطالة على الأعراض ، والحرص على العدل والقسط مع الناس ، والانطلاق بما في الوسع لقضاء حاجات المسلمين وإغاثة ملهوفهم ودفع الظلم عنهم والحزن على مصابهم والفرح لفرحهم. إن كل هذه الخلال تفرزها سلامة القلب الذي يترتـب عليه أيضاً مظهر من مظاهر الصدق ألا وهو محبة الناس لمن هذه حاله ، فيصبح مألوفــاً لهم لأنه صدق معهم ؛ فألفهم وألفوه ، وتواضع لهم فأحبوه ، وهذا مصداق قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: »المؤمن مؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف«(7).

4- حفظ الوقت وتدارك العمر:

إن الصادق في إيمانه لا تجده إلا محافظاً على وقته شحيحاً به ، لا ينفقه إلا فيما يرجو نفعه في الآخرة ، ينظر إلى العمر كله كأنه ساعة من نهار وإلى الدنيا كأنها ظل شجرة نزل تحتها ، ثم قام وتركها ، فبادر بالأعمار الصالحة فراغه وصحته ، وشبابه ، وحياته ، وابتعد عن كل آفة تقطع عليه طريقه ، وتضيع عليه وقته ، وتبدد عليه عمره القصير بما لا ينفع.

5- الزهد في ثناء الناس ومدحهم بل وكراهة ذلك:

ويتبع ذلك الزهد فيما عند الناس ، والقناعة بما كتب الله عز وجل ، وهذه الصفة إذا وجدت فهي علامة على الصدق والإخلاص ، وهي تنبع أصلاً من صحة المعتقد ، وكمال التوحيد لله عز وجل ، وحول هذه الصفة والوصول إليها يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : »لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار«.

6- إخفاء الأعمال الصالحة وكراهة الظهور:

إن من عـلامــة صدق العبد فيما يعمله لله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكراهة اطلاع الناس عليه ، كما أن كراهة الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والـسـمـعة والتصنع للخلق ، فكلما كان العبد صادقاً مع ربه عز وجل كلما كان حريصاً على إخـفـــاء أعماله حيث لا يطلع عليها إلا الله عز وجل ، الذي يسمع ويرى ويجازي على الحسنة بعشر أمثالها ، وإن حياة سلفنا الصالح مليئة بهذه النماذج الوضيئة نذكر منها ما يلي:
* عن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: »إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل« (8).
* وقال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزور وما يشعرون به.

7- الشعور بالتقصير والانشغال بإصلاح النفس ونقدها أكثر من الآخرين:

إن من أخطر ما على النفوس أن ينشغل العبد بغيره بالنقد والتقويم وينسى نفسه والتفتيش عن عيوبها ، وهذا للأســف كثير عندنا في زماننا هذا ، وإن من علامات صدق العبد مع ربه ومع نفسه أن ينشغل بنفسه وإصلاحها وتقويمها أكثر مما يعطيه لغيرها ، وإذا وجدت هذه الصفة نتج عنها المحاسـبـة للنفس والتربية والتزكية لها ، كما ينتج عن ذلك أيضاً احتقار النفس في ذات الله عز وجل والنظر إليها بالتقصير في جنب الله ، وبالتالي تنتفي صفات العجب والغرور والاعتداد بالنفس ، وعلى هذا فلا يجتمع الصدق والعجب في قلب مؤمن أبداً ، كما إن هذه الصفة تطـهـر القلب من الحقد على المسلمين ، وتصيّد أخطائهم وعثراتهم والتفكه بذلك في المجالس بحجة الدعوة وبيان الأخطاء والتحذير منها.

8- الاهتمام بأمر هذا الدين والجهاد في سبيل الله عز وجل:

إن الصدق في محبة الله عز وجل ومحـبـة ديـنـه تقتضي أن يكون أمر هذا الدين هو شغل المؤمن الشاغل ، حيث لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال وهو

يرى دين الله عز وجل ينتهك ويقصى من الحياة ، وبالتالي يرى الفساد المستطير يدب في أديان الناس ودمائهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم. إن المؤمن الصادق لا يقدّم علـى هـــذا الهم الأكبر أي اهتمام من أمور الدنيا الفانية ، ولكن إلى الله نشكو حالنا ، وضعف إيماننا وركوننا إلى دنيانا حيث إننا إذا رجعنا إلى قلوبنا وما هي الاهتمامات التي تملؤها ، لم نجد عند أكثرنا وياللأسف إلا اهتمامات دنيوية بحتة هي التي تحتل الأرقام الأولِى فـي تفكـيرنا ، فمنا من همه الأول منصب يحصل عليه ، أو شهادة يستلمها ليعيش بها ، ومنا مــن همه زوجته وأولاده أو تجارته وأمواله... الخ. هذه الاهتمامات الفانية ، ثم إن كان هناك فضول تفكير واهتمامات جاء أمر هذا الدين والدعوة إليه بعد الاهتمامات السابقة ، وهـــذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الصدق عندنا في الدعوة إلى الله عز وجل والجهاد في سبيله ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى »وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يرغب عنها، وهو بارد القلب، سـاكت اللسـان ، شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق«.

9- الـتـمـيـز:

إن التميز في حياة المؤمن أمر ضروري جداً خاصة في عصور الغربة ، وإن المسلم الصـــادق يُعرف بتميزه وإصراره على دينه بين الناس، فيعرف بصحة معتقده عند فساد المعتقدات، وبالتزامه بالسنة عند فشوا المبتدعات، وبصدق إيمانه إذا فشا الكذب والنفاق، وبعبادته إذا الناس يلهون ويلعبون ، وبأخلاقه إذا هدرت الأخلاق وضيعت.

هذه بعض صفات الغرباء الذين قال فيهم الرسول -صلى الله عليه وسلم-: »طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم« (9).

10- قبول الحق والتسليم له:

إن من علامات الصـدق لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي أحد كان فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل ويقربه إلى مولاه ، وإذا بان له الدليل ولا ح له الحق فرح به ووجد فيه بغيته ، ولا يرده إبداً سواء أكان قائله صغيراً أو كبيراً، أكان عدواً أو صديقاً ، وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم ، وصارت من عاداته وأخـــلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب للآراء والتحزب للأشخاص والهيئات ، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين ، وتورث الاجتماع والائتلاف وتنفي الفرقة والاختلاف ، كما أن قبول الحق والتمسك به يقتضي القول به والدعوة إليه دون لبس أو تردد ، فالصادق لا تراه إلا صادعاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يجامل ولا يداهن.

هذه بعـض صـفـــات الصادقين.. والله نسأل أن يجعلنا من الصادقين قولاً وفعلاً.. والله المستعان.

هـوامـش:

(1)إحياء علوم الدين 4/533.
(2)البخاري 9/171.
(3)صحيح مسلم ، المقدمة.
(4)متفق عليه.
(5)رواه أحمد 1/201 ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح1/637.
(6)هذا الحديث قواه ابن كثير لتعدد طرقه 2/176.
(7)رواه الإمام أحمد ، ج2 9187.
(8)صفة الصفوة 3/61.
(9)رواه الإمام أحمد ، وأورده الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم 3921.

خواطر في الدعوة

نشــأة أخــرى

محمد العبدة

احتار المصلحون في أمر هذه الأمة ، فمنذ قرن ونيف والسؤال يتكرر :أين الخلل؟ وما هي العلة؟ ومن أين يبدأ الإصلاح؟ ووصل الحال بأحد زعماء المسلمين في أول هذا القرن - وقد استقر به المقام في المدينة النبوية - أن يجأر بالشكوى ويقول : »لا يتحرك المسلمون حتى يتحرك جبل أحد من مكانه«.

إن هذه الشكوى لها ما يبررها ، فهـذه الأمة ليست أمة مستأنفة تبدأ طريقها من جديد ، بل هي امتداد لأمة بدأت في عصر الرسالـة ، فهي تحمل بذور نهضتها ، ولكنها تحمل أيضا أعباء سنين متطاولة من التخلف والضعف والتفرق ، وجاءت آثار التغريب في العصر الحديث فزادت الأمور تعقيداً فكيف نخلّص الفرد المسلم من هذه ا لأدواء ، وننشئه نشأة أخرى ليعود إنساناً فعالاً صالحاً مصلحاً؟

لقد حام حول هذا الموضوع كثير من المصلحين الذين يريدون بالأمة خيراً، فمن مقرب ومن مبعد ، ورفعت شعارات صحيحة ، ولكنها تصف أعراض الداء ولم تكشف عن العلـــة، فعندما يقال : إن الخلل جاء من البعد عن شريعة الله ، فهذا صحيح ، ولكن لماذا يسكت المسلم عندما يطبق شرع غير شرع الله؟ ولماذا يستسهل هذا الأمر ، ولا يدافعه مع خطورته الشديدة؟ ما سبب ضعف شخصيته حتى يقبل بما هو واقع؟

لا شك أن العطب جاء من قبل ضعف العقيدة، وعدم وضوحها، ومن ضعف الإيمان وخلل في تصور الولاء والبراء ، ذلك لأن حرارة الإيمان هي التي تدفع

بالسلوك والخلق إلى أعلى مراتبه ، وهي التي تساعد على قوة الصعود وعدم التنازل عن تطبيق شرع الله مهما كلف الأمر ، بل هي التي تحرق المراحل وتذيب العقبات من طريق الدعوة.
وأن قوة الإيمان ، وفهم العقيدة السليمة،هو الذي ينتشل المسلم من أوضار الجاهلية بشتى أصنافها ومسمياتها،إلى آفاق الرشد والشهادة على الناس وعالمية الإسلام، وهو الذي جعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : »بلال سيدنا وأعتقه سيدنا«، بـيـنـمــا نجد العصبية والحزبية تنخر في صفوف المسلمين الذين يريدون حمل الدعوة ، فكيف بغيرهم؟
قد تعيش أمم بعقائد واهية سخيفة ، وقد يعتريها أزمات في هويتها ومبادئها ثم تستأنف حياتها ، ولكن الأمة الإسلامية أمة نشأت على الدين وقامت بالدين وهو الذي صـنـعـهـا وحضَّرها ، وعندما يحدث خلل في الدين تقع الكارثة ، وتحدث الشروخ في جميع مناحي الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتصبح ا لأمة حائرة بائرة مرعى لكل راع، يسومها الخسف وسوء العذاب.
كـيـف نرفع من وتيرة هذا الإيمان حتى يعود إلى اتقاده وفعاليته؟ ويكون كالآتي الذي لا يقف أمـامــه شيء؟ وكيف يعود إلى العقيدة صفاؤها وأثرها العملي ولا تكون مماحكات في الكتب والأذهــــان؟ هذا ما يجب أن تتجـه إليه الهمم ، وهذا ما يجب أن تربى عليه جماهير المسلمين.

هـموم ثقافـية

التنمية في المجتمع الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة

د. خلف خلاف الشـاذلي

تُعرّف التنمية بأنها عملية تهدف إلـى رفع مستوى معيشة أفراد مجتمع معين على المدى الطويل ، معتمدة بالدرجة الأولى على الإمكانيات الذاتية لهذا المجتمع ، مع تقدير واع للعوامل الخارجية ، وذلك عن طريق دعم مقدرة المجتمع على القيام بوظائفه الإنتاجية ، وتحقيق أفضل استثمار لإمكانياتها المحلية.
ولقد انـبـهــرت الـــدول الـنـامـية، ومنها الدول العربية والإسلامية بالتجربة الغربية في التنمية، وما حققته هذه التجربة مــن إنـجــازات سريعة ، ومن ثم فإنها رأت ضرورة أن تحذو حذو هذه الدول إذا ما أرادت تحقيق الـتـنـمـيــة المرجوة وظلت تعتقد في صلاحية النماذج والنظريات الغربية لفترة طويلة ، لتكتشف فـي آخـــر الأمر أن النماذج التنموية الخارجية ، شرقية أكانت أو غربية ، لم تكن تهدف إلى خدمة هذه المجتمعات ، ومنها المجتمع العربي

المسلم ، بقدر ما كانت تهدف إلى استمرار اسـتـنزاف تلك المجتمعات ، وتؤكد تبعيتها لتلك الدول الأجنبية.
وأمام انهيار مصداقية عمومية وثبات الـنمــاذج التنموية والنظريات الغربية وعدم تمتعها بالقدسية من ناحية ، والأزمات التي أخـذت تتعرض لها عمليات التنمية في بعض الدول ذاتها التي أخذت تطبق تلك النماذج لسـنـوات طويلة من ناحية أخرى ، بات من المؤكد عدم وجود نموذج للتنمية معد سلفاً في جملـتـه وتفاصيله يصلح لـكـل الأزمـنــــة ولـكــل المجتمـعـات ، وذلك أن التنمية عملية مجتمـعـية تخضع لظروف كل مجتمع وخصائصه المميزة.
وقد ركزت استراتيجيات ومداخل التنمية في معظم الدول النامية، ومنها الدول العربية، على أهمية التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث وكان الاتجاه السائد في هذه الدول قـائـمــاً عـلـى محاكــاة النموذج الغربي في التنمية دون فهم لأسس بناء هذه النماذج، ومدى ملاءمتها للواقع والظروف الموضوعية التي تعيشها هذه المجتمعات.
وتبلورت على الساحة الفكرية في مجتمعنا المسلم تيارات ثلاثة هي:
1- تيار التغريب الذي انبهر أنصاره بالغرب، وتبنوا الدعوة إلى ضرورة أن نصـبح غربيين في كل شـيء ، وراحوا يدافعون عن قيمة الـثـقـافــة الغربية بل والتغني بصلاحيتها، وفي الوقت نفسه ينـظرون إلى الثقافة الأصيلة على أنها »موضة« قديمة لم يعد لها قيمة جمالية ، على الرغم من أنه كثيراً ما تعود »الموضة« القديمة لتصبح »موضة« جديدة في حقبة تالية.
2- تيار الرفض لكل جديد أياً كان، تـحــــت تأثير العصبية للموروث، وذلك من خلال العمل على إحياء التراث والتمسك به لضمان الوجود المتميز والمستقل.
3- أما التيار الثالث ، فهو تيار الوسط، الـــذي يرفـــض أنصاره التقليد الأعمى والنقل الحرفي عن الحضارة الغربية ، وفي الوقت نفسه يرفضون الجمود والانغلاق.
ويقوم منهج هذا التيار على المزج بين القديم والحديث، أو بين الأصالة والمعاصرة: أصالة عصر ازدهار الحضارة الإسلامية والمعاصرة التي يحكمها واقع الأمة، والاسـتـفــــادة مــن حضارات الآخرين ، استفادة الراشد الذي يُميز بين ما يتسق مع تميزه الحضـاري ، وبين ما يـؤدي إلى طمس الهوية الحضارية وانطلاقاً من الثقة بقدرة هذا التراث على استيعاب معطيات الحديث من ناحية والتفاعل معه من ناحية أخرى.
وفـي هــــذا الإطار طرحت قضية الأصالة والـمعاصرة نفسها على بساط البحث والمناقشة، وترددت أسئلة كثيرة في هذا الشأن ، وتعددت حيث إن كلاً من الأصالة والمعاصرة تظلان مفهومين محايدين حتى تصبحان إطاراً مرجعياً للتنمية في مجتمع من المجتمعات ، فبينما تشير الأصالة إلى الارتباط بالتراث المحلي ، نجــــد أن مفهوم المعاصرة يشير إلى الارتباط بمناهج عصر الصناعة ومنجزاته.

... وعموماً فـــإن مفهوم التحديث يرتبط بفكرة الصـيـاغـة الغربية للثقافات المحلية دون اعتبار لمضامين تلك الثقافات ، وهو بذلك يعتبر مفهوماً منحازاً لثقافة المجتمع الغربي.

مخاطر التحديث:

تقوم فكرة التحديث على إحلال الثقافة ، والنظم الاجتماعـيـة والاقتصادية الغربية محل الثقافة والنظم الأصيلة ، وقد سيطرت توجهات التحديث على مـعـظـم سياسات التنمية ، في الدول النامية ، ومنها المجتمع العربي الإسلامي باعتباره في زعمـهـم الحـــل الوحيد والأمثل لمشكلات التخلف ، وهو تفسير عنصري وقاصر للتخلف ، ويغفل جانباً كبيراً من الأسباب الحقيقية للتخلف وأخذت عمليات التحديث تمتد إلى جميع مجالات الحـيـــاة الاجتماعية والاقتصادية ، بل والتربوية والثقافية أيضاً ، لتأخذ شكل الغربية أو التغريب. والتحديث على النمط الغربي علاوة على ما فيه من مخاطر على الدين هو كارثة في شؤون الدنيا ، حيث يجعل من المجتمع العربي الإسلامي مجتمعاً هامشياً ، ويُكرس من تبعيته للخارج ، وتلك هـي الغــزوة الاستعمارية الحديثة فلقد أصبحت عملية التنمية من خلال محاكاة النموذج الغربي بمـثـابـــة أداة لنقـــل ثقافـة المجتمعات الصـناعية المتقدمـة إلى المجتمعـات الأقل تقدماً ، مؤدية بذلك نفس الدور الذي سبق وأن أدته أيدلوجية التقدم في القرن التاسع عشر في كل من أمريكا اللاتينية وبعض دول الشرق الأوسط وإفريقيا،عندما حاولت هذه الدول تبني أسـاليب وسـياسـات اقتصادية تهدف إلى تحقيق نمو اقتصادي ، متجاهلة بذلك الموروثات الثقافية والتراث الحضاري القائم.

* إنـــه في ظل التحديث ، على النموذج الغربي ، قد يصبح المجتمع متقدماً من ناحية استهلاكـــه للسلع والخدمات ، دون أن يتحول إلى مجتمع متقدم من الناحية الإنتاجية ، ويؤدي ذلك إلـى الازدواجية الخطيرة على مستقبل التنمية في هذه المجتمعات ، وهي ما نراها اليوم في كـثـيــر من المجتمعات النامية ، من حياة إستهلاكية على الطراز المتقدم ، وحياة إنتاجية على نمط التخلف، حيث تقدمت هذه المجتمعات في مجال الاستهلاك ، بينما تخلفت أو بقيت على حالها في مجال الإنتاج.

* إن التحديث على النموذج الغربي يشكل خطراً على الثقافة المحلية والتراث الأصيل والأبنية الاجتماعية والاقتصادية القائمة، حيث تصبح تلك المجتمعات أسيرة للقـيـــم والأنساق الثقافية، وكذا الحلول التكنولوجية والأبنية الاجتماعية والاقتصادية الدخيلة ، كما أنها تصبح أيضاً أسيرة لتطلعاتها الاستهلاكية وعجزها الإنتاجي.

* إن الدعوة إلى التطوير والتحديث ، القائم على محاكاة النموذج الغربي في التنمية ، لا تعد أن تكون دعوة للاحتواء والتبعية، وتجسيداً للتشوه الحضاري الذي يهدد مجتمعاتنا، وفقداناً للثقة بالقدرة على الابتكار والتجديد.

* إن التحديث على الـنمـــوذج الغربي ينطوي على مضامين أيدلوجية، مادية وعلمانية، ووجـوديــة وبرجماتية ، تـشـكــــل خطراً على المجتمع الإسلامي بخاصة حيث تبدو في ظاهرها الرحمة وفي باطنها يكون العذاب.
* وأخـيــراً فــــإن قضية الفكر الهدام ليست قضية محدودة بوقت معين ، ولكنها كانت وستظل مطروحة طالما أن هناك صراعاً بين الحق والباطل ، وقد يختلف الطرح في صوره وأشكاله ، ولكنه ثابت فـي أهــدافه وغاياته والتحديث على طريقة النموذج الغربي في التنمية إنما هو شكل آخر من أشكال الفكر الهدام.

لا للتغريب:

لم تكن المشكلة تكمن بالكامل في المداخل أو النماذج التنموية المستوردة ذاتها ، والتي ربما تكون قد نجحت في الدول التي نشأت فـيـهـــا ، بل تمثل القصور الأساسي في أن عمليات التحديث في مجتمعاتنا لم تكن نابعة من الواقع الاجتماعي والثقافي الأصيل ، فعلى عكس التنمية في كثير من المجتمعات الغربية ، نجد أن العوامل الأساسية التي دفعت إلى التغيير في مجتمعاتنا بدأت مع اختلال التوازن التقليدي الأصيل ، بفعل عوامل خارجية متضمنة في عملية التحديث والتحضر والـتـصـنيع على غرار النموذج الغربي في التنمية، وأصبحت عمليات التنمية بذلك أسيرة عوامل خارجية غير متأصلة،حيث أخذت عمليات التحديث شكل التغريب ، وأصبحت هذه المجتمعات تسير بوعي أو بغير وعي نحو التبعية ، التي طالما تسعى هذه المجتمعات إلى التحرر من إسارها.
والحقيقة أن التبعية أصبحت تمثل واقعاً بسبب ما نحن فـيـــه من تأخر وشقاق فقد كنا متبوعين أيام كنا أقوياء ، ونحن نتهم الغرب بأنه يجرنا إلى التبعية والحقيقة أننا نتبعه لأننا نشعر بأننا بحاجة إلى تقدمه وعلومه ، وصار أخشى ما نخشـاه أن يؤدي ذلك إلى تغلغل أشكال التبعية إلى مجتمعاتنا نتيجة النقل الحرفي ، وعمليات المحاكاة العمياء لكل ما تهب به رياح الغرب دون إمعان النظر فيما أكان هذا مناسباً لنا أم لا.

هل نقول (لا) للمعاصرة؟!

... لا تعني الأصالة في ارتباطها بالتـراث المحلي ، الجمود والتقوقع ذلك أن التراث يضم الموروث الحضاري بأجمعه ، ويحتوي على جانبين:
الأول: ثابت ويجب الحفاظ عليه ، ويتضمن اللغة والدين والقيم والتنشئة الاجتماعية ، والثاني: متغير يمكن التعامل معه كجزء من الحياة الحاضرة.
فالأصـالــة بذلك لا تعني مطلقاً كما قد يتصور بعضهم الانغلاق على الـــذات في العلوم أو التقنية الـتـي أصبحــت ضرورية ، ولكنها تعني إعادة النظر في النماذج التي لقنها الغرب تلقيناً والتعامل معها بـوعي، بــل ومحاولة تجاوزها بمعطيات جديدة ، ولا تعني أن ندير ظهورنا تماماً للتطور الحادث بالفـعــل

من حولنا ، ولكن تعني الدراسة المتأنية لاختيار ما يناسبنا ويدعم الهوية الحضارية والخصوصية الثقافية لمجتمعنا العربي الإسلامي ، ويؤكد أهمية التواصل الحضاري والتاريخي بالنسبة لهذا المجتمع.
فـهــل نقــول الحضارة قذارة ، بحجة أنها حضارة الغرب ، ونغمض أعيننا تماماً عن ما يحدث مــن حولنا من تطور؟! إن القول بنعم للمعاصرة يعني التفاعل مع الحضارة ويعني أيضا الحرص على امتلاك القوة بكل الصور، وهذا أمر مهم لإقرار الحق والعدل في الكون، وإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، فالحق يحتاج إلى قوة تحميه وتفرضه.وحضارة اليوم هي حضارة مادية بكل المقاييس، تقوم بالدرجة الأولى على العلم التجريبي.
وعلينا باعتبارنا مجتمعاً إسلامياً أن نأخذ بناصية العلم الذي هو السبيل إلى امتلاك عوامل القوة المادية ، وبخاصة تلك العلوم التي تتجاوز الحدود الدولية التي ليست حكراً عـلـى مجتمع بعينه ، وهي تلك العلوم الطبيعية التي تتعلق بدراسة المادة وخواصها ، وقد أخذ الغرب نفسه الكثير من النظريات العلمية عن العرب والمسلمين الأوائل أمثال: ابن الهيـثم والرازي... فلماذا لا نأخذ عنهم في هذا المجال؟! ذلك أن التقنية في حــد ذاتها ليـسـت موجبة أو سالبة ، ولكن طبيعة المجتمع ومدي تماسك مؤسساته هما العامــــلان اللـــذان يجعلانها سالبة أو موجبة في تأثيرها ، ومن ثم فإن الحل لا يكون عن طريق الانغلاق على الذات ، ولكن يكون عن طريق العمل على سد الثغرات ونقاط الضعف التي قــــد تظهر في المؤسسات الاجتماعية والتي تفرزها التقنية الحديثة أو الانفتاح على العالم الخارجي.

مـقـال

واجبنا في زمن الانهزام

د. محمد بن عبد الله الشباني

تمر الأمة الإسلامية في هذا العصر بمرحلة من الذُل والهـزيمـــة لم تبلغها في أي حقبة من حقب التاريخ الإسلامي ، فقد اجتمعت قوى الشر من يهود ونصـــارى فرمت بسهامها عن قـــوس واحدة ، فأصابت الأمـة في مَقاتل عدة ، ومن أهم المَقاتل الـتـي أصــابـت الأمـــــة الـتـخـلـخـل والـنـكـوص والانهـزام والاسـتـسـلام لرغبات العدو والإذعان بتنفيذ أوامره ، فأصبحت الأمة لا تملك من أمرها شيئاً.
إن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام قد تعطل ، بل إن الدعوة إليه أصبحت أمراً نشازاً ، وأصبحت الدعوة إلى الاستسلام للأعداء بكل مــا يطلبونه هي النغمة السائدة التي يتولى الإعلام غرسها وتثبيتها والتأكيد على أنها الطريق الأفضل لأخذ الحقوق ، فلا جدوى لما عداها من وسائل للحصول على الحقوق،

كما أنها الركيزة التي يقوم عليها البناء السياسي في العالم الإسلامي وتتولى القيادات السياسية تنفيذها بحماسة وجدية.
إن السؤال الذي ينبغي طرحه ومناقشته هـــو: ما دور الفرد المسلم في مجابهة هذا الواقع المؤلم؟ وكيف يمكن للفرد المسلم المجرد من جمـيع القوى المساندة ممارسة دور فاعل ومؤثر في مقاومة هذه الغارة التي تعددت أشكالها وأنــواعـهــا؟ وهل يمكن للفرد أن يمارس دوراً مؤثراً في ظل هذا الواقع؟ وكيف لهذا الفرد أن يمارس دوره الجهادي؟
إن الإجابة على هذه الأسئلة ترتبط بمدى فهم الفرد المسلم لأهمية دوره في إحداث التغيير في المجتمع ، وإن الدور السلبي الذي يمارسه كل فرد مـــن أفــراد المسلمين إنما يعود في أساسه إلى الجهل المطلق لما يوجبه الإسلام على المسلم من مسؤولـيـة تجاه مجتمعه.
لقد وردت أحاديث كثيرة تحدد دور الـفــرد في المجتمع المسلم ، وترتبط معرفة هذا الدور بفهم هذه الأحاديث وربطها بالواقع ، فـمـن تلك الأحاديث التي حـــددت دور الفرد في المجتمع ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقف على ناس جلوس فقال:(ألا أخبركم بخيركم من شركم، قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا وشرنا، قال: خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره) (1) ، وما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (المؤمن مرآة أخـيــه والمؤمن أخو المؤمــن يـكــف عـلـيه ضعفه ويحوطه من ورائه) (2) وما رواه ابن حبّان والنـســائي والحاكم عن أبي هريرة رضــي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) (3).
إن المعنى العام لهذه الأحاديث يؤكد أن دور الفرد المسلم دور إيجابي يتفاعل مع قـضـايا المسلمين ، ويكون عوناً للمسلمين ، فيعمل بكل جهده على تقوية ومساندة إخوانه مـمــن يعانون الظلم والاضطهاد من الأعداء ، فعلى المسلم أن يؤمن شره عن المسلمين ، وأن يحوط إخوانه ، ويكف يده عن مساعدة أعدائهم وكف اللسان واليد يأخذ أشكالاً عدة إذا أحسنَ استعمالها ، فإن تأثيرها على الأعداء كبير كما إنها نصرة للمسلمين. والسؤال هنا: كيف يـمـكـن للـمـسـلـم أن يمارس هذا الدور المؤثر لصالح المسلمين في هذا العصر الذي أصبحت المناصرة الجهادية باليد والمال محظورة ، وباللسان ممنوعة في معظم الأقطار؟!
إن الفرد المسلم الواعي قادر على ممارسة دوره الجهادي إذا استشعر المسؤولية تجاه أمته ، وعزم على أن يُمارس دوره الفردي مجرداً من كل أنواع القدرة على المجابهة ، وإن أول خطوة لممارسة هذا الدور تتمثل في معرفة أعداء الأمة الذين يحملون الحقد والضغينة على المسلمين وعلى

الإسلام ، إن هذه المعرفة وتعمقها في نفس الفرد تمثل الخطوة الأولى في المجابهة ، ولهذا نجد أن من ركائز الإيمان الولاء والبراء ، ومن رحمة الله بالمسلمين أنه لم يدع أمر اكتشاف أعدائهم لقدراتهم، ولكنه سبحانه أوضح أولئك الأعداء بجلاء ووضوح لا لبس فيهما ، فقد أشار القرآن الكريم إلـى ذلك بصريح العبارة في قوله تعالى: ((لـتجـدن أشـد الناس عـداوة للـذين آمـنـوا الـيـهـود والـذيـــن أشـركـوا))(4) ، وقوله تعالى: ((ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم))(5) ، وقوله تعالى: ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً))(6) ، فاليهود وأنصارهم من النصارى الذين تتركز قوتهم المعاصرة في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا ودول أوروبا في الغالب ، هم الأعداء الذين حذر الرسول منهم ، والذين ينبغي على كل فرد مسلم أن يَحذرهم على أساس أنهم أعداء لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، إن التاريخ القديم والمعاصر أكبر شاهد على ذلك ، بل إن المصائب المعاصرة التي حلت بالمسلمين من احتلال لأراضيهم، وانتهاك لحرمـاتـهــم ونـهـب لخـيـراتهم، ومساندة لأعدائهم من اليهود والوثنيين من الهندوس والسيخ، والسعي بكل جهد على إيجاد الظروف السياسية والاقتصادية المعيقة لانعتاق بلاد المسلمين من قبضتهم من خلال التمكين للمنافقين والمرتدين من العلمانيين والمستغربين والانتهازيين بتسلم زمام الأمور في البلاد الإسلامية ، والعمل على القضاء على أي توجه شعبي للعودة إلى منابع القـــــوة للأمة الإسلامية من خلال محاربة القيادات السياسية والفكرية ذات التوجه الإسلامـي ، التي تطالب بأن يكون شرع الله هو الحاكم والموجه لشؤون الحياة لاشك أن لهم دوراً فيه.

إن هذا الواقع السيىء للأمة أدى إلـى بروز ظاهرة الانهزام والشعور بالعجز عن مقاومة الهجمة الصليبية اليهودية والوثنية من الهندوس وغيرهم.

إن الفرد المسلم يستطيع لو تم إنماء الوعـــي الإيماني لديه أن يمارس دوراً فاعلاً ومؤثراً لصالح المسلمين من خلال الجهاد الاقتصادي والجهاد العقدي والثقافي بتحصين الأمة من خطر الغزو الثقافي الذي يمثل الخطر الأكبر على جهاز المناعة لدى الأمة.

من مظاهر الجهاد الفردي:

يستطيع الفرد المسلم ممارسة الجهاد الـفـــردي في زمن الانهزام من خلال ممارسة دوره الاقتصادي، وتنمية الوعي الثقافي لأفراد الأمة الآخرين من خلال موقعه مستهلكاً للسلع ، وموجهاً لأسرته وممارساً لحقه الطبيعي في إبداء التعبير وإزالة المنكر والأمر بالمعروف من خلال أداء واجب الكلمة في محيطه الاجـتـمـاعــي وتتمثل الوسائل التي يمكن للفرد أن يمارس دوره الجهادي في محاربة أعداء الأمة من خلال موقعه في المجتمع في عدة أمور يمكن تلخيصها في الآتي:

الأمر الأول: المقاطعة الاقتصادية بالامتناع عن شراء السلع سواء أكان الشراء للاستهلاك أو الاقتناء ، والتي تنتج وتُصَدّر إلى بلاد المسلمين من الدول الغربية بعامة والعدو الصهيوني بخاصة ، والاستعاضة عنها بشراء السلع المنتجة فـي الـبـلاد الإسلامية ، فهذه المقاطعة الفردية لا تكلف الفرد المسلم أي جهد ما عدا تغيير نمط الاستـهـــلاك ، وإحلال سلع منتجة ومصنعة في البلاد الإسلاميةمحل السلع المنتجة في بلاد أعــداء الإسلام ، وبهذه المقاطعة يتحقق أمران الأول: تشجيع منتجات البلاد الإسلامية وتقـــوية اقتصادياتها ، والثاني: محاربة العدو اقتصـادياً بالامتناع عن شـراء السـلع المنتجة فـي تـلــك الـبـلاد ومحاربة كل تاجر مسلم يستورد السلع الاستهلاكية من بلاد أعداء المسلمين وعلى كل فرد رفع شعار »قاطعوا الأعداء« بالامتناع عن شراء أي سلعة منتجة وموردة من بلاد النصارى ، وبالأخص الدول التي تتولى قيادة دول النصارى في عصرنا الحالي وتفضيل الدول الأخرى من غير الدول الإسلامية في حالة عدم وجود تلك السلع لديها بشراء السلع المنتجة مثلاً من الصين واليابان وجنوب شرق آسيا مثلاً وإن امتناع كل فرد مسلم عن شراء أي سـلعة منتجة أو ذات علاقة تجارية أو اسم تجاري مرتبط بالشركات الغربية ، سوف يؤدي إلى وجود غضب شعبي تجاه ما تمارسه القوى الصليبية الحاقدة ، إن على كل فرد مـسـلــم الامتناع عن شراء هذه السلع ودعوة الآخرين لذلك.

الأمر الثاني: أن يقوم كل فرد إذا كان صاحب شركة أو مؤسسة تمارس الأعمال التجارية بالامتناع عن الاستيراد من الدول الغربية والاستعاضة بالاستيراد من الدول الإسلامية ، أو الدول التي يمكن أن تكون يوماً عدواً للدول النصرانية ، كما أن على كل فرد يمتلك القدرة على الاستقدام للأيدي العاملة أن يمتنع عن الاستقدام من تلك الدول، وأن يمارس كل فرد إذا لم يكن صاحب شركة أو مؤسسة الضغط الاجتماعي من خلال النـقـد وإثارة الإحساس الديني لدى أصحاب هذه الشركات.

الأمر الثالث: أن يقوم كل فرد وبخاصة العاملين في حقل التعليم باستخدام التعليم وسيلة للجهاد بالكلمة بغرس القيم والمبادىء والأفكار الإسلامية التي تحمي أفراد الأمة وبخاصة الطلبة والطالبات من الغزو الثقافي، فالدول النصرانية تسعى إلى طمس الهوية الإسلامية، فقد تكالب الأعداء وسخروا جميع الإمكانيات من أجل هدم مقومات الأمة بإضعاف مفهوم الولاء والبراء من خلال الدعوة إلى التقارب بين الأديان ، الذي أصـبـح مصيدة وقع فيها كثير ممن ينتسبون إلى العلم والثقافة ، فالقصد من التقارب بين الأديان هـــو الاعتراف بالديانتين اليهودية والنصرانية المحرفتين وكأنهما صحيحتـان ، مع أن الله أخبر أنه لا يقبل غيـر الإسـلام دينـاً في قولـه تعالى: ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه))(7)، وإن مـبـــدأ الحوار مع الأديان المحرفة قد حدده الله ، فلا يجوز الحوار إلا وفق القاعدة القرآنية في قوله تعالى: ((قل يا

أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: ألا نعبد إلا الله ولا نشرك بـه شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون))(8) ، كما إن الغرب النصراني يسعى إلى إبعاد الأمة عن تحكيم شرع الله في الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، وتبني سلوكيات الغرب النصراني من حرية مزعومة ، وإباحية وإلحاد وكفر بالله ، ولهذا فإن للمعلم أو المعلمة دوراً كبيراً في الجهاد من خلال جهاد الكلمة، وتزويد الطلبة والطالبات بالقيم السليمة ، ومحاربة جميع المظاهر السلوكية المنافية لقيم الإسلام وتعاليمه.

الأمر الرابع: أن يمارس الفرد المسلم من موقع عمله في غير حقل التعليم دوره في محاربة الخطط التي تسعى لتقويض مقومات المجتمع ، وبخاصة في حقل الأمن والإعلام ، فالدور الجهادي للفرد المسلم الذي يعمل في هذه الأعمال كبير وخطير،وبخاصة ما يتعلق بمحاربة المفسدين الذين يعملون على إفساد الشباب من خلال نشر الرذيلة بينهم،فإن هدف الأعداء هو نشر المخدرات والزنا وغير ذلك من الإفساد الأخلاقي ، وبالتالي فإن على المسلم الذي يعمل في الأمن مسؤولية تفويت الفرصة على الأعداء من خلال القضاء على أوكار الفساد ، وكذلك بالنسبة لمن يعمل في حقل الإعلام فإن عليه واجب نقل الصورة الصحيحة عن واقع المسلمين واستخدام المنبر الإعلامي بقصد توعية المسلمين بواقعهم وكشف أساليب الأعداء ومنع كل وسائل الهدم والتخريب لعقائد الأمة وقيمها، وبالتالي فلو أن كـــل صحفي أو كاتب في جريدة أو صاحب دار نشر امتنع عن نشر أي كتاب أو مقالة فيها إساءة للإسلام أو تساهم بنشر فكرة إلحادية، أو تسويغ الفاحشة، فإنه بهذا يمارس دوره الجهادي في حماية الأمة والمجتمع الإسلامي من الوقوع في مصيدة الأعداء ، وتوفير الأرضية لاتساع الصحوة الإسلامية.

إن للفرد دوراً كبيراً في محاربة الأعداء وإفشال خططهم ، وبالتالي فالجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام لا يقتصر على حمل السلاح فقط ، بل يشمل جميع أوجه الجهاد ، فالتفاعل مع هموم الأمة وقضاياها يمـثـل لوناً مهماً من ألوان الجهاد فالمسؤولية الفرديـــة هي مناط التكـلـيـف فـي الشــريـعــة الإسلامية ففي الحديث المشهور:(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)»، فقد شملت المسؤولية جمع أفراد الأمة، ويـؤكـد هـــذا المفهوم حديث ابن عباس الذي رواه البخاري، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا هـجـــرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيه وإذا استنفرتم فانفروا) (9) والاستنفار في زمن الانهزام يتمثل في قيام كل فرد بواجبه الـفـــردي تجاه حماية الأمة من خلال استخدام الإمكانات المتاحة له لصالح الأمة، وأن يكون قدوة للآخرين بممارسة دوره الفعال ، ودعوة الآخرين للاقتداء به.

هـوامـش :

(1) رواه الترمذي ، كتاب الفتن ح76.

(2)رواه أبو داوود ، كتاب الأدب ح49.
(3)رواه البخاري ، كتاب الإيمان ح514 ، الرقاق ح36 ؛ مسلم ، كتاب الإيمان ح12.
(4)سورة المائدة:82.
(5)سورة البقرة:120.
(6)سورة البقرة:64.
(7)سورة آل عمران:85.
(8)سورة آل عمران:64.
(9)رواه البخاري ، كتاب الصيد ج10 ، كتاب الجهاد ح19227 ؛ مسلم ، كتاب الإمارة ح86.

الملف الأدبي

(نصـوص شـعرية)

.. رتـابـة..

د. صـالح الزهـراني

مـنـذ تـسـعـينَ حـجّــةً..
ثـورة الـوعــي خـامــدة
يـبـدأ الـعــرض مـيـّـتـاً !..
فـوق أشـلاء صـامــدة..
الـبـدايــات واحـدة!
والنهايات واحدة!
بـطــل الـعــرض واحـدٌ..
قـصــة الـعـرض واحــدة..
مـخــرج الـعــرض واحــدٌ..
والـجـمــاهـيـر راقــدة!
بـعـد يــوم مــن الـضـنـــى
والـوجــوه المـزايـدة!..
.. أعـلـن الـفــاتــح الأبـي..
والـزغــاريــد شـاهــدة..
عــن فـتــوحــات جـيـشــه..
عـن قـواه المـجــاهــدة..
أنها شقت المدى..
واسـتـبــاحـت وسـائــده!!
وأراقت دمَ الدجى!..
وأضـاءت فراقـده..
كذّبـت كــلّ خـائـن..
فهي بالـنـصـــر عـائــدة..
وبدا شـاعـــر الـهـــوى..
يـتـهـجّـــى قـصـائـــده!
وانتهى الفـتـــح رقـصــــة..
وغـنـــاءً ، ومـــائــدة!
والـجـمـاهـيـــــر لـم تـــزل..
تـشـهـــد الـعـرض جــامــدة..
عـرفـت كـيـف يـنـتـهـي..

عرفت كيف يبتدي..
أصبح الزيف قاعده!!

نقـد على نقـد

نـقـد ظالم.. ونـقـد نـائم

محمـود مـفـلـح

يبدو أن صوت النقد في صحافتنا الأدبية الإسلامية وعلى أقلام كتابنا خافتٌ جداً ، ومهما حاولت أن تُصغي إلى هذا الصوت فإنك لن تظفر بشيء ذي بال، على أن هذا الصوت لدى الآخرين قويٌ،واضح النبرات، شديد التأثير حيث تبلورت خطوطه، وتحددت توجهاته، واستقرت كذلك رموزه.

ولا أبالغ إذا قـلـت ومــن خــلال متابعتي المتواضعة لما يصدر هنا وهناك من صحافة أدبية أقول لا أبالغ إذا قلت: إن المرحلة الراهنة هي مرحلة النقد ، وإن القوم جادون في تأسيس نظرية نقدية تناسب رؤيتهم ومنطلقاتهم، وهم مشغولون بتأصيلها ، يقيمون تنظيراتهم على ضوئها ، ويُجرُون كذلك التطبيقات اللازمـــة عـلـى نصوص يختارونها من أجل دعم هذا التوجه النقدي وترسيخه.

حتى ظهرت أسماء نقدية مهمة لا نستطيع أن نتجاوزها، أو نقـفــز فـوقـهــا أو نستهين بمجهوداتها الدؤوبة في مشرق الوطن العربي ومغربه ، وإن المتأمل كذلك فـيـمـا يُكتب من نقد هنا وهناك لابد وأن يلاحظ أن ثمة اتفاقاً وإجماعاً على توجه نقدي معين، وأن ثمـة جســـوراً تقام بين هذا الناقد وذاك ، فكأن هذا هو الصوت ، وذاك هو الصدى في تناغم عجيب ، واتفاق يبعث على الدهشة!

وإن النصوص التي يختارها هؤلاء النقاد تدور كلها في فلك الحداثة والتغريب ، والأشكال التعبيرية الجديدة، التي يكتنفها الغموض، ويُشكل لحـمـتـهـــا وسُداها اللغز والأسطورة والسحر، و »يفلسفون« لها ويؤولونها ويحاولون جاهدين أن يُقـنـعـوا الـقــارىء بأهميتهــا وريادتها.

حتى أصبحنا نسمع بأسماء شعراء وقصاصين وروائيين ظهروا على الساحة فجأة ، بجهود هذه الأقلام النقدية الدؤوبة في التلميع والترصيع..!

وظهرت على الساحة كتب تحمل سمات هذا الاتجاه النقدي، تُـبـشــر بـهـــا الصحافة، ويـكـتـب بعـضها عن بعض ، وكلها تنويعات على وتر واحد ، إلا أن طابعها الإصـــرار والالتزام.

وكل النصوص التي تـتـناولها هذه الدراسات إبداعية ومعاصرة ومهمة وجديرة بالقراءة... إلا النصـوص الإسـلامية!! أو ما يقترب مـنـها، فإنـهـا في زعمهم فقيرة، متخلفة، فجـة، تغلب عليها الخطابـية والسـطحية وهي تجافي روح الفن، وتـتـنـافـى مــع الـحـسـاسـيـة الجديدة ، والرؤية المعاصرة!!

إنـــه حصارٌ محكم ، سبق التخطيط له ، والاتفاق عليه ، في لقاءات أدبية تمت وتتم هنا وهناك.
وهو واقع نقدي مؤثر حفر مجراه ، وظهرت نتائجه ، قَبِلْنَا ذلك أم رفضناه ، فرض نفسه على الساحة الأدبية بقوة ، ولا تكاد تخلو مطبوعة أدبية واسعة الانتشار من هذا التوجه النقدي الحديث.
حتى أصبح القارىء يُردد عن وعي ودون وعي مقولات هؤلاء النقاد ويتأثر بالنصوص التي يعرضونها ، ويعرف الكثير من الأسماء التي تمارس هذا النقد ، وتشتغل به.
وفي الجانب الآخر ترى النقد الإسلامي وللأسف البالغ مازال يحبو وليته يحبو بنشاط وحيوية.
واستعرض إذا شئت الصفحات الأدبية الإسلامية في أي مطبوعة تشاء فإنك قلّ ما تجد دراسة أدبية جادة عميقة ذات رؤية نقدية واضحة ، تنسجم مع قيمنا الحضارية وتعطي لهذا العمل أو ذاك حقه ، ولن تجد كذلك توجهاً نقدياً عاماً واضح المعالم ، ولن تجد أيضاً وأقولها بمرارة ، أسماء نقاد جادين دؤوبين مخلصين لهذا الفن أو ذاك ، رغم أن النتاج الأدبي الإسلامي معافى ومقروء ولا يخلو من جماليات تستحق أن يتوقف عندها النقد.
ورغم أن الأساتذة الجامعيين الذين يحملون شهادات عليا في النقد الأدبي كُثر والحمد لله وفيهم القادر على النهوض بهذا العبء ، لو نفض عنه غبار الكسل وتجرد لهذه المهمة ، وإن تجربتي في هذا الصدد مع بعض هؤلاء الأساتذة الأفاضل للأسف غير مشجعة ، إذ قمت عندما صدر ديواني الجديد »نقوش إسلامية على الحجر الفلسطيني« بإرسال نسخ منه إلى خمسة من هؤلاء الأساتذة ، وطلبت منهم في عبارة رقيقة أن يتفضلوا بالكتابة عن هذا العمل سلباً أو إيجاباً ، إذ أن الشاعر لا يطمئن على تجربته الإبداعية حتى يسمع قول النقد فيها.
وانـتـظـرت شـهـوراً وشهوراً ، ولم يصلني من أحد منهم وريقة تشعر أن الديوان قد وصل فضلاً عن القيام بالكتابة عنه ، رغم أن حظي أفضل من غيري في هذا الصدد.
وأنا أعرف عشرات الأعمال الأدبية الإسلامية قد صدرت هذا العام والعام الذي قبله ، ولم ينهض لها النقد ، ولم يقترب منها رغم أهميتها.
فالإبداع في واد والنقد في واد ، ومازال بعض نقادنا مشغولين بـتـنـظـيــراتهــم، ورؤاهم، وتعريفاتهم ومصطلحاتهم ، ولم يكلفوا أنفسهم مقاربة النصوص الإبداعية ، أو الحديث عنها ، حتى نهض بهذه المهمة أخيراً أو بعضها الشعراء أنفسهم تعريفاً وتطبيقاً.
ولا أريد أن أدلل على أهمية النقد برواية »الذئب« ، التي كتبها أديب إيطالي مـغـمـــور ، ورفضت جميع دور النشر في إيطاليا طباعتها مما جعل صاحبها يتأثر تأثراً عميقاً أدى به إلى أن أصيب بنوبة قلبية مات على إثرها ، حتى سمع

بالرواية ناقد شهير ، أعجب بها فكتب لها مقدمة ضافية ، ودفعها إلى دور النشر فلاقت رواجاً كبيراً ، وإقبالاً من الـقــراء عجيباً، وترجـمـت إلـى جميع لغات العالم ، وصدرت منها حتى الآن الطبعة الخامســـة والأربعون..
فالنقد هو الذي يعطي الـعـمل الأدبي قيمته ، ويضيء أبعاده ويخط له مساراته الإبداعية الجديدة ، بالإضافة إلى أن الناقــد يمارس عملاً إبداعياً جديداً لا يقل متعة وأهمية عـــن العمل المنقود.
وما لم تكن هناك حركة نقدية جادة ومستمرة، تواكب الأعمال الأدبية وتعلن عن ولادتها، وتمنحها شرعية القبول ، فإن الأدب الإسلامي عندنا سوف يظل يسير على قدم واحدة.

نصـوص شـعرية

ذكـرى الـعـبـور

محمـد البراهـيم

عندما حلت به ذكرى العبورْ
أنف الشامخ من صمت الجموعْ
ساقها روادها سوق الأمةْ
رهن الشامخ للسيف دمهْ
حطم الأوهام فيما حطمهْ
باع أمناً.. ورخاءً سئمهْ
واشترى خوفاً ورعباً..
حيثما دار يدورْ
واشترى حبراً.. وغذّى قلمهْ
وامتطى الفارس ظهر الكلمةْ
ومضى ينشد ما بين السطورْ..
وطناً ضيّع يوماً رقمهْ

***

تلكمُ جملة ما قال الشهودْ..
ومضى.. مثلما النجم يغورْ
غير أني..
أعلم اليوم تمام الملحمةْ
فلقد برّ بوعدهْ
ومشى الدرب لوحدهْ
لكأني..
أسمع الآن وجيبَ الحمحمةْ
وأرى الفارس يعلو فرسهْ

نسج العز لجاماً ألجمهْ
هتف المخبرُ.. إذ كان معهْ:
ويحه.. ما أقدمهْ؟!
حدثته النفسُ: »ماذا لو يحورْ؟!
أتُرى يُبدي أسيفاً ندمهْ؟«
فأجاب العزم في عزم وقورْ:
»إن يك الموت قضي..
فلم الخوف لمهْ؟
أفراراً من قضاء لزمهْ؟!

***

أبصر الشامخُ أمراً نكره..
أبصر السادنَ يعلي صنمهْ
ناكرَ الأصل ربيبَ الدونمةْ!
يطمس الحق.. ويفري أممهْ
حسب الحق.. كما الماء يغورْ..
إنما يتبع فهماً فهمهْ

***

سمع الشامخ أمراً نكرهْ..
إذ بعيداً..
حيث لا ثمّ سوى همس الطيورْ
يسكن الشيخ الذي ظل خفياً..
وسميراً للنجومْ
يزرع الحقل ويرعى غنمهْ
يعشق الليل ويهوى نسمهْ
يذكر الله ويرجو كرمهْ
رجع الشيخ.. إلى الكوخ الصغيرْ
متعباً ذات مساءْ
فرأى الكوخ هباءْ!
عسكر الظالم غَدراً هدمهْ
إذ وشى بالشيخ كيد العملاءْ
أي جرم أجرمهْ؟!
»أي جرم؟!«..
وعلى الوجه تفاصيل ذهول وخفاءْ!
فأتى الرد نسيئاً..
من سفيه لطمهْ:
(أتظن السيد الوالي يجورْ؟!)

ضحك الكل... وأنشدْ:
يسقط الصبح.. وتحيا العتمةْ!
يسقط العدل.. وتحيا الظلمةْ!
رمق الشيخ بعينيه السماءْ..
سأل الله سؤالاً كتمهْ
سمع الشامخ.. والتذّ الفداء
ومضى يسعرُ حربَ الكلمةْ

***

قرأ القارىء سطراً...
في بقايا صفحة مهترئةْ:
«غيلَ بالأمس عدو الأنظمةْ!

***

أيها الشامخ.. عذراً..
لم يزل يدهمنا سيل الفجورْ
لم تزل تسكننا عدوى الجحورْ
غير أنّا.. سنصلي..
كلما مرت بنا ذكرى العبورْ:
«رحم الله قتيل الكلمةْ»
«رحم الله قتيل الكلمةْ»

قصـة قصـيرة

شـيء لم يحـدث..!!

عـبد الحـليم الـبـراك

يرقب جدار صمت قد امتدت قامته حتى الأفق البعيد.. لونٌ أشهب وبرودة قاسية.. تجعله يحس بشيء من الانتشاء.. طعمهما الحلـــو في شفتيه اليابستين.. هذه الفتحة العلوية التي تكاد تختفي في ثنايا هذا الجدار الشامخ.. ثمــة نور ضئيل منها.. كأمل ينتظـره من بعيد.. الجدار يعانق الجدار.. وهذه السلسلة الحديديــة لا تثقل أنفاسه الحرة داخله.. لا تمنعها من الفرحة.. وكأن شيئاً.. لم يحدث..

***

طريق مستطيل.. ينتهي بأفق حقله الصغير.. ثمة جموع وقحة.. قادمة..
ـ ألقها.. هيا..
ـ انتـظر..
ـ ألقها.. قبل أن يرونا..
ـ أريد أكبر عدد منهم..

ـ أنت تقودنا نحو الحديد.. معاً..
ـ اذهب أنت..
ـ ولكن..
ـ إني آمرك.. هيا..
ـ ولكن..
ـ ولكن اذهب.. هل سمعت؟!
ـ حاضر!!..
غضب أحمر يتمخض عن انفجار مدو يحصد أربعة من ذوي الأكتاف المذهبة.. وأكثر من عشرة قد زينت أذرعهم الوقحة بشرائط خضراء.. ثمة عين لمحته.. لا محالة.. أمسكوا بـه.. أحس بشيء من اللذة.. وكأن شيئاً.. لم يحدث..

***

يرقب حلقات من حديد متراصة ومترابطة.. »ستحاكم!!..«
(لم أقترف جرماً.. أرادوا سرقة أنفاسي من أضلعي).
... يرقب باباً حديدياً أمامه.. أسود.. وعليه كتابات ثائرة..
صوت حذاء عسكري يرن.. يقطع مسافات من كهوف الصمت الداكنة.. حركة غليظة تهز هذا الباب المترس.. رجل ضخم الجثة مكتنز الخطوات كجسمه..:
ـ موعد المحاكمة اليوم..
اجتاحت صدى كلماته أرجاء الفضاء الموحشة.. لم يعلق.. قام.. مشى.. خرج.. شم هواءً عفناً.. تفل عن يساره.. أحس وكأن شيئاً.. لم يحدث..

***

دلــف إلى القاعة.. ثمة أشياء ميتة.. مـســح الـقـاعة بعينيه.. الهواء العفن أيضاً يتكوم في وسطها.. جهة المنضدة اللامعة.. يرقد عليها ثلاثـــة أشـخـاص.. هم أنفسهم الذين راحوا جراء القذيفة.. »يبدو أنهم سينتقمون الآن..«
طلبوا منه أن يقترب من أوسطهم.. نظرة ممددة ألقاها عليهم..:
ـ أنت مدان!!
ـ بماذا؟!!..
ـ بقتل أربع حمامات..!!
ـ ...؟؟!!
تذكر طفولته الممزقة.. وأحس وكأن شيئاً.. لم يحدث..

نصـوص شـعرية

.. دمـعـة..

على أطلال سربنتسا

فيصـل بن محمد الحجـي

سربنتسا.. مدينة بوسنية مسلمة، صبـرت تحت وطأة الحصار والقصف الصربي الشديدين عاماً كاملاً ، وهي تنتظر نجدة أحفاد طـــارق وصلاح الدين. كان يكفيها الإمداد بالسلاح دون الرجال، فلم يطلع عليها وجه نصير إلا قلـة من شباب الصحوة الذين زرعوا قبورهم في أنحاء الأرض من أجل أن يورق الأمل، أما مــن بـقــي مـنهـم حياً فهو ينتظر الاعتقال والمحاكمة إن عاد إلى بلده بتهمة (البوسنيين العرب!) فما أمر (الأفغان العرب) عنا ببعيد.

واضطرت المدينة البطلة بعد نفاذ الذخيرة إلى الاستسلام المهين لقــوات الأمم المتحدة التي قامت بتنفيذ شروط (الصرب) ، وذلك بتدمير ما تبقى من سلاح المدينة لتقـف عارية أمام عدوها الفاجر.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سربنتسا.. مــا حفظـناك كـما ... يحـفــظ الـحـــرّةَ حـــرّ بالـدمــا
عَـظُـمَ الخَطبُ ولم نـرفـع لـه ... رايةً تـغـزو الـعـدا أو عـــلـــمــا
لم يَثُر (هارونُ) من عـلـج غزا ... وسبى (فـاطـمــةً) أو (مـريــمــا)
عاث كلـبُ الروم في أقـداسنـا ... ودفعنا جزيةً كـي نَـسْــلـمـــا!
صوفـنـا أو قطـنـنا أو زيـتـنـا ... ناله (نقفور) مـنـا كـــرمــــا!!
جزية (الكربون) من يجهلها؟! ... جشع يمـتــص مـنـــا الدسـمـا!
سـربـنـتـسا.. أي جرح راعـف ... مَلأ الآفـاقَ حـُزنـاً مـعــتـمـا؟!
هذه صـلـبـانـهـم... نـعرفـها ... حقدها يكسـو رُبانا عـــدمــــا

***

سـربـنـتـسـا.. أي ذل قـاهـــر ... لطخ الهـــامـات عـاراً مـؤلـمــــا
نحن أسلـمـنـاك للـعـار ومـــا ... أغـضـب العارُ بنا (معـتـصـمــــا)
جهرةً.. تـلـمـس كـفّ المـعتدي ... مـــوضـعَ العفة لمساً مـجرمــــا!
وأخو النخوة يرنـو صامــتـــاً ... كالذي يحجب عينيه الـعــمـــــى
كم أنين.. كم صُراخ ضـــارع!.. ... فهـل الأسماع تشكو صـمـمــــا؟!
يا جيوشاً أتخمَت أسـلـحـــةً ... لم تـدع في بيت مال درهـمــــا!
سمنت من جوعنا.. وانتفـخت ... وغـدا الـمـغـنـمُ فـيـها مغرمــــا!
جثمت فوق تراقـيـنـا وقـــد ... كتمت إصـرارنـــا فـــانـكـتـمـــا
سمنت.. حتى حـسـبـنـاها إذا ... دوهمت أوطانُـنـا..تحـمي الحمى
كم تحدت خـصـمَـها هــادرةً ... وأتــى الخـصـمُ ضحىً.. فالتحما

وانجـلـى الموقـفُ عـن مهزلة: جـبـهـة ديـســت.. وأنـف رُغـما
جرت الخذلانَ.. وانـسـلـت إلى مجـلـس الأمـن.. تنادي الأمما!!

مراجعات أدبية

رؤيـة في الـقـراءة الـنـقـديـة

د. مصطفى بكري السيد

القراءة النقدية: هي نظرية القواعـــد التي تحكم تفسير نص من النصوص الأدبية ، يتأكد فيها دور القارىء بوصفه أحد منتجي النص عبر علاقة تفاعلية تصل القارىء بالمقروء لتثمر إنتاج معرفة جديدة تتيح للقارىء توظيفها في إغناء ذاته أو في إعادة بنائها.

هذه القراءة الإنتاجية هي نقيض للقراءة الاستهلاكية، والقراءة الإنتاجية فعل حـضــاري، وهي بعد توفيق الله السبب القوي لتفسير المواقع والواقع ومن ثم تطويرهما ، وهي مـعـيار الحكم فـي الـخـــــلاف في كثير من القضايا التي لا يكون سبب الاختلاف فيها راجعاً إلى الموضوع بل يعود إلى الكم والكيف القرائي حول هذا الموضوع.

ومثل هذه القراءة وهــي قـــراءة »الـتـدبــــر« بحسب المصطلح القرآني لم ولن تموت في العالم الإسلامي ، ولكن الذي مات بل في الحقيقة ولد ميتاً وجمهوره آخذ في التناقص هو اجترار الكلام والفكر المعلب،والرؤى القَبْلية، وإخضاع التعامل مع الإبداع إلى قوالب جامدة منغلقة لتصبح ذات صيغة سـلـطوية وتسلطية على الفكر الموضوعي ، ويكون سقف الفن عندها هو المقنن الجاهز والسلبي الـمـسـتـهـلـكـم ، والمثال الذي أسوقه على هذه القراءة تلكم القراءة اللغوية التي تتعامل مع كل علم من علوم اللغة تعاملاً مستقلاً دون أن تتمكن من سبكها في سبيكة معرفية تستدرج النص إلى الحكــي والقول ، وتكاد تحصر النقد بمرجعية معجمية ويكون اهتمامها اهتماماً معجمياً في المفردة والتركيب لا اهتماماً بنائياً ودلالياً.

في هذه القراءة تغيب عن القارىء أوليات الـتـعـامــــل مع الشعر والأثر الفني عامة ، فهي تمكنه من الإحاطة بالمستوى الإخباري للنص ، ولكــنها تحجب عنه المستوى الإشاري ، وهو ما تزخر به اللغة الشعرية فيما وراء المؤدى المباشر والذي يُكوّن نظام العلاقات الدلالية والإيقاعية في النص ، وهو الذي يجعل النص يُفلت من الظرف المحدد ، ويمتلك القدرة على البث المتجدد بحيث يخاطب أجيالاً عديدة.

تستهدف القراءة النقدية وضع النص في موضع البحث المعرفي استكشافاً لجمالياته وطاقاته الإبداعية وما يحمله من رؤِى تحول وتحويل ، هذه القراءة

يحجب نور شمسها أو يكاد التضخم في الدراسة الاجتماعية أو التاريخية الأدبية التي تجعل الأدب ملحقاً بالحياة لاحقاً بالأحداث ، هل هناك أكثر اغتيالاً للأدب من أن يكون تاريخ الأدب أوفر حظاً في ساعات التدريس من النصوص ، وفي تاريخ الأدب يغيب النص أو يُغيّب لا فرق ، ويصبح شهيداً لا شاهداً ، قتيلاً لا مقاتلاً ، ويكف عن البحث المتجدد والدور المتعدد ، ولا أمل في استنقاذ النص الأدبي من تقزيمه وتحطيمه المتمثل بالبحث في ثناياه عن كل شيء إلا أدبيته.
لا أمل إلابأن نبذل جهداً مقابلاً لقراءة الاغتيال ابتغاء بلورة مفهوم ونهج جديدين في قراءة الأثر الأدبي ، دون ذلك لن يتم اللقاء بين الـمـبـدع والقارىء ، وهذه القراءة هي قراءة الكشف لا الوصف ، وبالمناسبة لنتذكر أن الزمخشري أطلق على قراءته للقرآن الكريم اسم »الكشاف«.
مقتل القراءة الأولى وخطورتها أن تكون أخيرة ، وهي تلك التي يتكلس فيها فهم الأدب كتكلس الشعب المرجانية حيث تُخْضعُ الأدب لطفولية الفـهــم الذي يكتسبه الطالب في المرحلتين المتوسطة والثانوية أو تلزمه به البيئة المحلية.
القراءة الأدبية هي التي تَسْتغور النص كما لو كان منجماً ، تبحث عما هو ثمين ومحجوب في طياته ، فتعمل على استخراجه ، القراءة الأدبية لا تخرج إلينا قبل أن تدخل هي من خلال الناقد ، تدخل إلى العمل الأدبي لتعايشه وتنفذ إلى باطنه ، فتكشف عن الأدب قبل الفكرة ، فإن لم يكن ثمة أدب فليس بشافع له أدبياً أن يحتوي على أدق الأفكار.

القراءة الأدبية تتم على مستويين:

في القراءة الأولى يسلم الناقد نفسه للعمل ، أي أنه يمارس قراءة النص بوصفه قارئاً متذوقاً للأدب ومدرباً على هذا التذوق ، وعادة ما يخرج من هذه القراءة بانطباعات تختلف من عمل إلي آخر ، فقد يخرج بالشعور باكتمال المتعة ، أو بالشـعــور بأن شيئاً ما خطأ أو لم يكتمل يحول بين شعور المتعة والاكتمال.
وفي القراءة الثانية يقيد انطباعاته مطبقاً للمنهج التحليلي على الـعـمـل الفـنـــي ومتبيناً للعلاقات التي تجمع الجزئيات في كلية فنية.
ومـمـــا يـسـاعــد على القراءة الأدبية أن يحرص الناقد على الإحساس بالأثر الفني بـعــد معايشته والالتصاق به التصاقاً كاملاً ، يمكن أن نسميه كمال الاتصال ، ذلك الذي يتم فيه استغراق يُوحد بين القارىء والموضوع ، بحيث يصبح الموضوع أي الأثر الفني ذاتاً وتصبح الذات موضوعـــاً. بذلك يستطيع القارىء أن يخرج انطباعه من حيز الخصوص إلى نطاق العموم ، وتبيت قراءته وسيلة من وسائل المعرفة عندما تأطرت بأطروحة ممنهجة تفيد كل مُتَلَق ومُتَلَقّى.
يجب أن يتذكر القارىء الأدبي أن ثمة فرقاً بين أن يقرأ صامتاً لنفسه وبين أن يقرأ ناطقاً لغيره.

وأخيراً فإن مشكلة النقد ليست معزولة عن مشكلة الفكر عندنا ، بل إن مشكلة النقد هي مشكلة هذا الفكر أو هي وجه من وجوهها.
ونحن نمارس قتل روح النص في حق النصوص الحديثة والتراثية على السواء ، هكذا ما نزال ندرس المتنبي، المادح، ومايزال الموضوع أي سيف الدولة وحروبه محور شاعريته ، ويغيب عنا مناخ الـقـمـم الذي يكشف عنه نظام العلاقات اللغوية في شعره ، يغيب عنا جواب المتنبي على عـصـر تقهقر فيه العنصر العربي المسلم ، يغيب عنا رفعه للصوت العربي في مقابل هيمنة العجـم والعجمي في الفعل والقول ، رفعه لهذا الصوت أخاذاً في سماء أخذت فيه النجوم العربـيـة الإسلامية بالأفول ، وآذنت شمسها بغياب العرب المسلمين عن قيادة الأمة التي سلبتهم إياها ، عناصر أعجمية عملت لحسابها أكثر مما عملت لحساب تواصل الدور الإسلامي وحضوره الدائم.
إن الـولـوج إلى عالم المتنبي وأمثاله من الشعراء العظام لا يتحقق بقراءة سكونية سلبية مغلقة، بل بقراءة متحركة فعالة، لأنها تعامل حركي مع أثر يتميز بالحياة وقابليته للنمو والتوهج ، وقدرته على العطاء ، إن هذه القراءة تحقق اتصال الإبداع بالإبداع أي اتصال الإبداع النقدي بالإبداع النصي وتتسع لكلمة الآخر وسؤالاته.
ومع أننا نعتقد أن المتنبي قد أفرز مكتبة قرائية كاملة ، فإن كل قراءة لاحقة إضاءة للقراءة الســابقة ، وكشف عن قـارة من الطموحات انطـوت عليها عبقريتـه الفـذة.
إن النص الأدبي يستحضر إلى ساحته قراءات بعدد الاتجاهات القائمة في المجتمع،فهناك القراءة المثالية التي تستحضر معها مسطرة القيم المجردة المطلقة وتريد من الأدب أن يكون موعظة أخلاقية لا يعدوها إلى غيرها ، فإن لم تجد فيه بغيتها أعرضت ونأت بجانبها.
وهناك القراءة الخيالية التي تريد مــن النـص أن يكون ركوباً يحملها بعيداً عن الواقـع والوقائع ، لا تريد لغة مفهومة ولا قـضـيـة مخدومة ، بل تريد هروباً واختباء بالكلمات وتترساً بالمبهمات ، وهناك القراءة السياسـيـة التي لا تبتغي من النص أكثر من أن يكون نشرة أخبار جوية عفواً بل سياسية.
أما مستويات القراءة فمنها ما يكون استكشافياً ، ومـنهـا ما يكون استرجاعياً ، ومنها ما يكون عمودياً، ومنها ما يكون أفقياً، ومنها ما يكون استنطاقياً يقول فيها النص ولا يُقوّل.
هذه القراءات كلها تشكل مراجع ثانوية للقراءة الأدبية التي هي القراءة الأساس للنص ، والتي تعتمد على منظومة العلاقات الداخلية للبنية اللـغـويـة وغيابها يعني إفقار النص واختزاله ، وبالتالي إلغاءه.
إن هذه القراءة تسير في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارىء، ومـن القارىء إلى النص، فبقدر ما يقدم النص للقارىء ، يضفي القارىء على النص أبعاداً جـديدة قد لا يكون لها وجود في النص ، وعندما تنتهي العملية بإحساس

القارىء بالإشــبـاع النفسـي والنصي ، عندئذ تكون عملية القراءة قد أدت دورها.
إن من أكبر مهام ومسؤوليات القراءة النقدية أن تؤصل وتؤثل وتوسع من أمداء قراءة النقد التساؤلي الذي يضيف بالسؤال المهموم أكثر مما يعطي بالجواب المحفوظ.
وهذه مقاربة لاستنطاق النص القصصي الموجود في العدد (74) من مجلة البيان والمعنون بـ »حدث في السوق« بقلم د/ محمد الحضيف.

1- تلخيص النص:

ليس بمكنة أحد أن يختزل لغة النص ، فإذا كانت علامات الاستفهام والتعجب مقصودة ومن الدوال فما بالك بالكلمات بَله الجمل؟ إذن سأختصر الحدث.
المكان: سوق مزدحم (عنوان الجــزء الأول من النص) ، رجلان من رجـــال الحسبة هيئة الأمر بالمعروف يؤديان واجبهما فـي مراقبة السوق ، يشك الأول مـنـهـما برجل ذي مظهر مريب ، فيقف منه موقف المتهم ، الـرجـــل الآخر يرفض التهم الـمعلبة. يتمسك كل من عضوي الهيئة برأيه بعد حوار مقتضب. يتابع الثلاثة سيرهم ، يلـقـي الرجــل ذو المظهر المريب برقم هاتف على عنقود من النساء ، تتحقق رؤية الأول في الرجل المريب ، ويمسك بالرجل ، ويدور بينهما حوار ، ويجتمع الـنـاس ، منهم من يريد الدنيا فيقول: (حرام عليكم اتركوا الناس وشأنهم) ، ومنهم من يريـد الآخرة ، ويوافق على اعتقال المريب: (جزاكم الله خيراً) ، الرجل الثاني يحاول أن يمحو صورة العنف في نفس المتهم يحاوره ويناوله شيئاً سقط منه ، ولا يتركه إلا بابتسامة تضيء وجهه.
المكان: مجلس مزدحم بعشرات الضيوف: انتهى الحدث في السوق ، يبدأ التعليق عليه في مجلس واسع (مزدحم بعشرات الضيوف).. يجمــع الحاضرون على فظاظة بـعــض رجال الهيئة ، ويصفونهم بنعوت قاسية (.....) أو (وحـــوش) ، ويتفنن الحاضرون فـي السرد والقص وإلقاء التهم جزافاً.
صوت واحد في المجلس إن الكرام قليل يقطع على الحاضرين حديثهم مفاجئاً إياهم بالرواية الصحيحة عما حدث. وهكذا يفاجأ الحاضرون بمــن يقلب سحرهم عليهم ، ويرد سهمهم إليهم فيكون هذا السؤال: ما هي القصة إذن؟ إنه ســـؤال يعيد الحدث إلى درجة الصفر.
الصراع في النص: الصراع بين عضو الهيئة وزميله حول مدى اتهام الرجل ، وما إمكان براءته. عضو الهيئة الأول يقول عن الرجل المريب: (حليق ، والثوب طويل... والدخان ، والنظارة الشمسية).
العضو الثاني: (هذه ليست أدلة إدانة).. (الحكم الأول).
الصراع بين الجمهور والمشاهدين: بعضهم وقد رأى الصراع والاشتباك بالكلام والأيدي بين عضو الهيئة والمتهم يقول: حرام عليكم اتركوا الناس وشأنهم.
البعض الآخر: (جزاكم الله خير ، يا جماعة نظفوا البلد من ها العينات).

مـسـافــة واسـعـة بين الدعوة إلى حرية العبث ووصف التعرض لهؤلاء العابثين (بحرام) ، والدعوة إلى تطهير البلد من هؤلاء (الحكم الثاني).
الصراع في منزل (مجلس مزدحم): حيث يرمي الحاضرون وهم (عشرات يرمون الهيئة عن قوس واحدة ، وذلك بنسج (إسرائيليات) عن تجاوز رجال الهيئة ، وإخراج قصة من لا شيء ، ثم تنويع السرد في القصة الملفقة: (قبل أسبوعين في أسواق .....) وأمام الناس كلهم هجم اثنان من رجال الهيئات) (إن أولئك الوحوش طـلـبــوا من الشاب أن يثبت أن المرأة التي بصحبته هي زوجته) (كان مشهداً لا ينسى حينما وضــــع أحدهم قدمه على وجه الشاب وقال له: أين لحيتك يا فاسق ، أو يا كافر على ما أظن!!). تقابل هذه النصوص والشهادات الـمعنعنة بشهادة من شهد الوقيعة ، فيرد الأمر إلى نـصـابــه ولعل المتحدث الأخير (هو الذي يمثل الكاتب) ، وهو ليس بعيداً أن يكون الرجل المتهم الذي يظهر في أول النص ، فهو يقول للحاضرين الذين لا يهضمون طعامهم إلا بهاضوم من الباطل : (أنا الذي كنت في السوق ، وأنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة.. سوء فهم حدث وتمت تسوية القصة بطريقة ودية).

2 -القضية التي تموضع النص حولها:

يطرح النص الهيئة موضوعاً لمناقشته قصصياً ، الهيئة دوراً لا خلاف عليها نفى الخلاف ظاهراً على الأقل ولكن الخلاف على أداء هذا الدور.
فعضو الهيئة الأول أشعل معركة أكبر من طاقة القضية، ولقد استعمل »مطرقة« لكسر »جوزة« ، أما الثاني فقد التزم الحوار وسار بالشوط إلى آخر المشوار ، فهو قد طـيـب خاطر المتهم ، ليقلب الطاولة في وجوه عصبة الإفك في نهاية القصة عندما جعل من خـصم الهيئة رجلاً يدفع عنها حجج الحشرات التي اعتادت أن تمضغ أعراض الطيبين ، وإعـمــال مبضع النقد في ممارسات أهل الحسـبة ظلماً وباطـلاً . لقد أدان النص تسـرع عضو الهيئة الأول وتشنجه وأظهر التعقل حلاً مطلوباً وطريقاً آمنة للوصول إلى أفضل النتائج ، ممثلاً بعضو الهيئة الثاني.
كما يطرح الـنـص موقـف خصوم الهيئة ، فهي لا تتحرك في فراغ إنها تصطدم بشـهــوات جامحة ، وشخصيات لا تتورع عن إنتاج الكذب وترويجه ومواجهة هؤلاء كما أشار النص أجدى ما تكــون من داخل صفوفهم فصاحب العلاقة تكلم فسكت الجميع ، هل يمـكـن أن نقول إن نـوعــاً من التناص (تداخل النصوص) قد حصل بين هذا النص وشخصية امــرأة الـعزيـز في سورة يوسف عليه السلام عندما قالت (أنا راودته عن نفسه) والرجل هنا أيضاً يقول بملء فيه:(أنا الذي حدث لي ذلك الموقف مع رجال الهيئة،سوء فهم حدث، وتمت تسوية الأمر بطريقة ودية).
ينتهي النص بالسؤال: ما هي القصة إذن؟

لـم يجب الكاتب، لأن قوة النص ليست فيما يقوله فقط ، بل وفيما لم يقله أيضاً. هل يحق للمرء أن يسأل هل الهيئة هنا رمز للدعوة الإسلامية؟ وهل إن السوق والمجلس المزدحـمـيـن رمز للمجتمع؟ وهــل يتعين على الإسلاميين أن يعتبروا أو يصلحوا بعض أدواتهم (عـضـو) الهيئة الأول؟ وهل اقتنعوا بأن الحوار وإن طال أسلم عاقبة وأرخص تكالـيــف مـن منازلة (دينكوشوتيه) تؤذي الدعوة ، وتحرج الدولة؟ وهل تكون أساليب الدعـــوة جامدة في عالم متغير؟

أعـتقـد جـازماً أن الـحـــل في الإسـلام فـقـط ، ولكن المشـكلة في المسـلمـيـن كأدوات لهذا الحل ما مقدرتهم على تحقـيقـه؟ لا بأس أن تعيد قراءة القصة. وشكراً.

المسـلمون والعالم

أقدم التجارب العلمانية تترنح!

قراءة في الانتخابات البلدية التركية الأخيرة

د. عبد الله عمر سـلطان

بعد أيام من ظهور نتائج الانتخابات البلدية في تركيا، التي انتهـت بتقدم ملموس لحزب الرفاه ذي التوجه الإسلامي ، زار وزير خارجية الكـيــان الصهيـوني »شمعون بيريز« تركيا والتقى برئيسة الوزراء »تشيلر« ، وأجرى مباحثات تركــزت علـى إحياء محور التعاون بين الدولتين في مجالات متعددة وصفتها المحللة الأمريـكـيـــة »كاثـي دافيس« بأنها ستغير من ملامح المنطقة إذا وجدت طريقها إلى التنفيذ ، حيث إنهــا ترمي فعلاً إلى قيام كيان شرق أوسطي فاعل ، يرتكز على التكامل بين الدولة اليهودية وأقدم حكومة علمانية في المنطقة، وبخـاصـة أن الزيارة جاءت بعد اهتزاز الثقة في قدرة النظام العلماني فـي أنـقـــرة عـلــى الاستمرار كنموذج أمثل لبقية الكيانات العلمانية التي تتفاوض مع »إسرائيل«.

لقد قررت الصهـيـونـيـة ممثلة في رمزها الفكري/السياسي »شمعون بيريز« القيام بخطوة أكثر جسارة ، حينما سارع إلى زيارة أنقرة عارضاً عليها ملامح مشروعه »الشرق أوسطي« ، الذي طرحه بالتفصيل في كـتـابـــه الأخير ، وركز خلال هذا الطرح على أهمية وجـــود ركائز مشتركة بين »إسرائيل« قطب الــرحـــى في المعادلة ، والنظم والكيانات السياسية الـمــرتبطة والمندمجة معها »حضارياً« ، وهذا الشـــرط الحضاري يقتضي وجود حد أدنى من التـبـعـيـة للغرب والولاء لنظامه السياسي العلماني ، هذا النظام الذي تُعتبر تركيا أبرز وأقدم وأقسى أمثلته الراهنة.

خطـان متقابلان:

إن خط الصهيونية مع تركيا قديم، ويمتد إلى ما قبل وجود كيان الصهاينة في فلسطين،ففي الذهن الصهيوني هناك مثالان متقابلان لتركيا ، أحدهما مثله السلطان عبدالحميد الـــذي رفض »التطبيع« مع مشروع هرتزل الصهيوني الذي كان يمثل مخرجاً »واقعياً« لمحنة السلطان والدولة المريضة في حالة موافقته على مشروع الاغتصاب لأرض فلسطين... ، وتلك تجربة لا ينساها الصهاينة أبداً لرمــز الـخـــلافة الإسلامية التي شمخت رغم ضعفها ، ورفعـت جبينها والمهالك تسن أنيابها وأظـافــرهـــا لتقتلعها وتزيلها من الوجود... ، أما الصـورة الأخرى لتركيا فهي التي يسارع »بيريز« وأي صهـيــــونـي آخر لمد الجسور معها والتحالف والتعاون مع القائمين عليها، وتلك هي تركيا العلمانية الأتاتوركية التي كانت دوماً بمثابة النافذة التي يتسلل منها المشروع الصهيوني إلى المنطقــة ، ومنذ وقــت طويل... ، لذا فإن زيارة »بيريز« وكلامه أمام الأقلية اليهودية التركية عن تـعـاون عسكـري وأمني واستراتيجي مع تركيا العلمانية »البعيدة عن التعصب« يؤخذ في إطار المحور الـــذي شهد تحسناً كبيراً في الآونة الأخيرة حيث تعد النخب العلمانية التركية جماهيرها لمرحلة »شرق أوسطية« يكون لليهود والأتراك العلمانيين قصب السبق والريادة فيها ، خصوصاً في ظل خصوصية العلاقة مع الغرب وأمريكا بالذات.

وفي كلام معلق الإذاعة الإسرائيلية تلخيص لخصوصية العلاقة بين العلمانية الطورانـيــة والصهيونية البشعة ، حيث يقول: ظلت تركيا الرئة الوحيدة التي نتنفس من خلالها في المنطقة ، وظل النظام الحاكم في أنقرة صديقاً وحيداً لإسرائيل منذ البدايـــــة انطلاقاً من علمانيته الصادقة ، وتحالفه الجدي مع المشروع الإسرائيلي التقدمي ، لذا فإسرائيل تشعر بالـقـلـــق حتماً من تنامي التيار الأصولي في هذا المركز الاستراتيجي المهم ، وهي مستعدة للدخول في شراكة حقيقية للحفاظ على مكتسبات سبعة عقود من التجربة الأتاتوركية.

الأواني المستطرقة:

فوز حزب الرفاه بنسبة 6.18 % من الأصوات والحصول على المناصب البلدية في ست مدن كبرى و 22 بلــديـة في مراكز الولايات و 92 بلدية من بلديات الأقضية و 203 بلدية من بلديات البلدات ، مـؤشـــر على تنامي العاطفة الإسلامية لدى الشعب التركي ، وصعود التيار الإسلامي ممثلاً في هــــذا الحزب في بلد مورست فيه العلمانية بقوة الحديد والنار ولأطول فترة في عالمنا الإسلامي ، فتجربة تركيا العلمانية هي الأقوى ، وهي الأكثر خبثاً وتلوناً وثقلاً فهي تجربة بدأت عـــام 1923 م على يد الهـالــك »كمال أتاتورك« الذي أتى بمشروع تغريبي إلحادي متكامل يـبـــدأ باللغة وينتهي بلباس الـــرأس مــروراً بالقوانين والأنظمة والتهميش القسري لهوية تركيا المسلمة.

لقد تدخلت الآلة العسكرية الثقيلة ثلاث مرات على مـــدى سبعة عقود كلما شعرت أن »مبادىء أتاتورك« ومشروع العلمنة التركي في خطر: حدث هذا عام 1960 م حينما أعدم العسكر الهمج »عدنان مندريس« الذي كـــانت جريمته عودة الأذان باللغة العربية بعد أن حـُرم المسلـمون من صوت »اللـه أكبر« لأربعين عـاماً ثم ما لبثوا أن خرجوا من ثكناتهم مرة أخرى عام 1971 م بعد أن تعرض حزب الشعب الذي أسسه »أتاتورك« لنكسة انتخابية ، أما في انقلاب »كنعان أفرين« الأخير عام 1980 م ، فالسـبـب كان أكثر إلحاحاً ، بعد أن جاءت تحركات شعبية بالهوية الإسلامية وأعادتها إلــى الواجهة والمناقشة ، وهو أمر يرفضه العسكر الأتراك الذين يشكلون العصا الغليظة لحزب الناتو »الأطلسي« ، الذي يصر على تخلي تركيا عن إسلامها مقابل أن يقوم الجيش التركي »بالواجب« الملقى على عاتقه ، وهو حماية البوابة الشرقية والجنوبية لدول أوروبا النصرانية.

الغرب وتركيا العلمانية:

إن دول أوروبا إضافة إلى الولايات المتحدة ، يـنـظـــــرون إلى تركيا العلمانية نظرة صغار واحتقار ، فبالرغم من الطرق المستمر لباب السوق الأوربية المشتركة ظل الباب مغلقاً أمام تركيا، التي تريد أن تكافأ على خدماتها وانضباطها العلماني وسلخها لهويتها الإسلامية، كما ظل الغرب ينظر إلى الجمهورية الأتاتوركية على أنها نموذج »جيد« يستحق الاستنساخ فـي بقية المناطق العربية والإسلامية ، فـهــذه الملايين السبعين تعيش منذ تفجير المشروع الـعـلماني دون هوية أو هدف أو رسالة ، بـعـد أن كانت هذه الأمة قبل قرنين تهدد قلب أوروبــــا وهي تحمل شيئاً من روح العزة الإســـلامية ، وهذا العـمــلاق الأناضولي قد تم استئناسه بطريقة عبقرية جعلته مسخاً لا هو بالـمسلم الشرقي الـمـعـتـز بأصوله ، ولا هو بالعلماني الأوروبي المفتخر بانتسابه إلي نادي أوروبــا النصراني والمسمى بالسوق الأوربية المشتركة.
وما أقسى أن يعيش الإنسان دون هوية ، وما أفظع أن تكون الأمة بلا نسب أو حدود... ، ولابد هنا أن تمر الأمة بمرحلة البحث عن الذات والعودة إلى الأصول ، وهذه مرحلة انتقالية تمر بها أي أمة وهي تبحث عن هويتها ، وخلال عـمـلـيـة البحث تبـرز المفارقات وتفرض المسـلمات نفسـها لاسيما بعد أن تأخذ التجربة أي تجربة مداها وزمنها والمساحة التي لابد بعدها من التوقف للتفكير ، وإعادة طرح الأسئلة البدهية التي غيبت عن هذه الشعوب بقوة الحديد والنار ، أو بوعود الرفـــاه الاقـتصادي والتقدم الاجتماعي الذي كان أشبه ما يكون بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً. صحيفة »الوول ستريت جرنال« الأمريكية كتبت عن أزمة الهوية هذه بعد بروز نتائج الانتخابــات الـتـركية قائلة: »يمكن القول بكلمات قليلة إن تركيا تمر الآن في مرحلة انتقالية غير أن هذا الانتقال يحدث وسط فراغ أيديولوجي يتعين على البلاد من خلاله أن تحدد هويتها في مـرحـلـــة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.

والواقع أن هذا الفراغ ، الذي زادت من حدته الأزمة الاقتصادية العميقة والحرب الشاقة ضد الأكراد ، هو الذي دفع الأتراك نحو الإسلام لتحديد الاتجاه. ومن الواضح أن أزمة الهوية هذه كانت تتفاعل منذ وقت طويل، ذلك أن أيديولوجية تركيا المشتقة من تصميم »أتاتورك« على تحويل خرائب الامبراطورية العثمانية إلى بلد عصري على النمط الغربي ، غير قادرة في حقيقة الأمر على توفير الإجابات لعدد كبير من الأسئلة التي تواجه الأتراك اليوم.

إذ بعكس الماركسية والديمقراطية الليبرالية ، لا تملك »الكمالية« الأيديولوجية الشاملة التي تفسر المجتمع والتاريخ ، وهي ليست نظاماً أخلاقياً اجتماعياً في شكل ديـانــة تقليدية ، كما أن ظهورها وهيمنتها خلال القرن الماضي حرم المجتمع التركي من الجذور الأخلاقية والاجتماعية التي يوفرها الإسلام وتجعل الناس يشعرون بالأمان.

لـقـــد كان إنجاز »الكمالية« الرئيس هو تثبيت وتعزيز القومية التركية ، لكن ما إن ضربت القومـيـــة التركية جذورها في المجتمع حتى فقدت سبب وجودها ، هذا ما قاله الكاتب »ديليب هيرو »في كتابه الأخير الذي تناول فيه تركيا وآسيا الوسطى.

ومما لا شك فيه أن الإسلام يوفر الحل بالنسبة للكثيرين من الأتراك ، ففي كل سنة يتدفق مئات الآلاف من المهاجرين المتدينين غير المثقفين من منطقة الأناضول إلى الضواحي الفقيرة في أنقرة واسـطـنـبول، ولعدم استعداد هؤلاء لفهم متع الحياة في اسطنبول ، ولذهولهم من الفساد المستشري في كل مكان ، يتحول معظم هؤلاء المهاجرين إلى حزب الرفاه ، بأمل أن يقيهم من السقوط الأخلاقي«.

إن ما شهدته تركيا تـشـهـده بقية بقاع العالم الإسلامي ، فهذا البعث الإسلامي أصبح هو الرقم الصعب والعامل الـمـشـتـرك لأي أمل قائم للخروج من نفـــق الواقع الملبد بالإحباط والتدهور ، إن انتخابات تركـيـــا أكدت أن الصحوة الإسلامية تعيش حالة تشبه الظاهرة الفيزيائية المعروفة بظاهرة الأوانـي الـمـسـتطرقة ، فأنت حينما تضع مجموعة من الأواني المختلفة الحجم والشكل وتربط بينها بقاعدة مفتوحة ومشتركة، تجد أن الماء المصبوب في آنية منها ينعكس تلقائياً على مستوى المياه في الأواني الأخرى، وهكذا فالحالة الإسلامية اليوم تشبه مجموعة الأواني المستطرقة التي تستفـيـد من كل قطرة ماء تسكب في قالب مع اختلاف نوعي بين القوالب، نصر المسلمـيـن في تركيا ينعكس على الحالة المعنوية لدعاة الإسلام في أندونيسيا ، وارتفاع راية الإسلام في أقصى طاجيكستان تحس بإيجابيته شوارع سارييفو ، والخلاصة أن عودة المسلمين إلى جذورهم في بلد الخلافة الإسلامية يعطي أملاً للعاملين من أجل الإسلام. إن أعتى وأبشع النماذج العلمانية بدأ يتحول إلى خندق الدفاع ، بعد أن ظل يطارد أهل الإيمان من

مواقع الهجوم ملوحاً بالرخاء والتقدم والاندماج مع الغرب المنتصر والمحارب لهذه الأمة ، لاسيما بعد غروب شمس دولة الخلافة.

التحدي لا يزال ضخماً:

بالرغم من النتائج المفرحة لأداء حزب الرفاه التركي في الانتخابات، فإن بصمات العلمانية المنفرة لاتزال ملموسة على كافة الأصعدة، فـي الـوقــت الذي يظل اليسار الملحد واليمين الأمريكي يحظى بثقل وتأثير على الساحة السياسية والاجـتـمـاعية في تركيا ، وأمام هذا التحدي تبرز نقاط لابد من التوقف أمامها:

* أمام حزب الرفاه تحد عقدي يتمثل في قرون طويلة من التصـوف والخرافة التي تسللت إلى الحياة التعبدية لقواعد واسعة من الحزب ، كـمــا يـشـكـو الحزب من جانب آخر من ضعف في الجانب الفكري والتجديد في طروحاته العقدية ، ومـــا يتفرع عنها من مواقف سياسية واقتصادية واجتماعية ، وفي الوقت الذي يعتبر فيه الحزب صاحب صوت ضخم حالياً ، فإن هذا الصوت بحاجة إلى حنجرة قوية وفكر متجدد ودورة دموية نشطة تساعده على تكوين قاعدة صلبة تجمع الرموز الإسلامية في تركيا على منهجية واضحة ، ولابأس أن يبدأ الحزب بالاهتمام بهذا الجانب من الآن، خصوصاً أن في تجربته بعداً عن الحزبية الضيقة التي جعلته متعاطفاً مع قطاع عريض من الحركات الإسلامية.

إن التحدي القائم أمام الإسلاميين في تركيا أكبر من حجم المنافسة السياسية ، إنه تحد حضاري شامل ، وما لم يكن الشمول المتسلح بمنهجية سليمة حاضراً ، فإن دور الحزب سيظل جزئياً ، كما أن تكوينه العقدي والمنهجي سيظلان نقطتي ضعف واضحتين.

* أمام الرفاه تربص من قبل أحزاب الإلحاد والعلمانية والقومية المتطرفة كما أن العلمانية التركية تتمثل في شخصيات ورموز ومؤسسات تعيش على الإرهاب العلماني القائم ، هذه الأحزاب والشخصيات ستركز على البلديات التي يحكمها الإســلاميون ، وستتجنى في الحكم عليها ، وستضخم أخطاءها وستحاربها بالشائعات والقصص الـمختلفة ، وهذا ما يحتم على الحزب اليقظة والحذر وممارسة أساليب النقد الذاتي ، فالعلمانية التركية تظل أقدم تجارب العلمنة تاريخاً وجذوراً إذا ما قورنت بالتجارب العلمانية الأخرى في عالمنا الإسلامي.

* أما أكبر الدروس التي نخرج بها، فهي قوة هذا الدين الذاتية التي صمدت وتصمد أمام أعتى الحروب وأقسى المواقف والظروف ، ويوماً بعد يوم يصلب عود هذه الأمة وتعود إلى نبعها الصافي ، وحين نقارن بضعف الجهود وكثرة الأخطاء وقلة ذات اليد ، فإننا لابد أن نخرج بمُسَلّمَة تصرخ وتقول: إن هذا الأمر هو أمر الله ، وإن ضعف الــداعي، وحــورب المبلغ ، وتكالب العدو.

* هناك المؤسسة العسكـريــة التي صرح مسؤول المخابرات فيها بُعيد ظهور النتائج: أنها ستتدخل في أي ظرف تشعر أن مبادىء »أتاتورك« مهددة أو أن العلمنة تتعرض للخطر ، هذا التصريح أمامنا تتناقله وسائل الإعلام ، وبين أيدينا تاريخ العسكر الطورانيين يؤكد انحياز العلمنة إلى التسلط وفرض خياراتها بالقوة أو الديموقراطية التي توافق مكاييلهم.
* الـصـحـافــــة التركـيـة وكر من أوكار الملاحدة والعلمانيين، مارست وتمارس التحرش بالإسلام وأهله، كـمــا أن قنوات الإفساد التي تنتشر في تركيا وبتشجيع من أهل الفساد والإضلال ستزيد من نشاطاتها ، مما يحتم بروز قنوات إعلامية ملتزمة بالدفاع عن المشروع والهوية الإسلامية في تركيا.
* النزاع العرقي كشف أن الأكراد وغيرهم من الأقليات المسلمة المضهدة قد أعطت صوتها لحزب الرفاه،لأنه دعا إلى رفع الاضطهاد الطوراني عنها ووعدها بعدل الإسلام وسماحته، والمطلوب الأن أكبر من شعار حيث إن انتشار الدعوة بين هذه الأقليات وتعريفها بكينونتها الإسلامية وهويتها ، أمر مطلوب بل بالغ الأهمية في هذه المرحلة.
* الغرب الخائف المذعور من كل نصر للإسلام سيمارس حرباً ضروساً ضد الإسلام وأهله ، سواء أكان عن طريق مباشر أو بواسطة حلفائه وفي مقدمتهم اليهود ، وهذا يقتضي الكياسة والبعد عن الاستعراض الخطابي والعمل بجد وإخلاص على أرض الواقع بشمولية ، وعدم قـصـر النشاط الإسلامي على الجانب السياسي الذي هو أكثر النشاطات إثارة وغيظاً للقوى الدولـيــة ، وأمامي الآن مـثـال لهذه الحرب السافرة ، يتمثل في مقال لمجلة »الإيكونمست« البريطانـيــة التي تـبــث الذعر في قلوب الغربيين من حكم حزب الرفاه الذي سيحظر أهم إنجازات »أتاتـــورك« في إسـطـانـبـول وهي: الخمارات ودور الدعارة ، وتتهكم بوعد رئيس البلدية الجـــديد الذي وعد بالقـضـــاء على الدعارة والفساد وتحويل نشاط المدينة كمركز للمؤتمرات الدولية ، ولم تجد المجـلــة تعليقاً سوى: كيف سيحضر النساء المؤتمرات وهن بالعباءة؟!
*ويبقى الاقتصاد المنهار تحدياً آخر يمثل نتائج التخبط الذي مارسته الحكومات العلمانية المتعاقبة، وهــــو يحتاج إلى إصلاح جذري وانفتاح على العالم الإسلامي الذي هو الامتداد الطبيعي لتركيا.
إن تنوع هذه الـتـحـديــات وضـخـامـتـهـــا يجعلنا ندعو لإخواننا المسلمين في تركيا بالنصر والتمكين والمبادرة إلى استخلاص الدروس والـعـبـر من تجارب إسـلامية مشـابهة ، على أن تكون ذخيرة في معركة الصراع بين الإلحاد والإيمـان ما بين الكفر والإسلام،ما بين العلمنة والـحــل الإسلامي... وهي معركة ضخمة نؤمن أنها طويلة وقديمة قدم الحق والــبـاطـــل، والعاقبة للمتقين والبشائر هي علامات الترنح التي نشاهدها تعتري أقدم تجربة علمانية...

المسلمون والعالم

أحفاد صلاح الدين
بين مؤامرة الأعداء وخذلان الأصدقاء

أحمـد العويمـر

لم يتعرض شعب من شعوب الدنيا للظلم والمحن وهضم حقوقه بعد الشعب الفلسطيني مثل الشعب الكردي المسلم، وملف هذه القضية، بل المأساة الكبرى لهذا الشعب كما يراه خبراء الاستراتيجية الغربيون مطروح وبقوة على طاولة القضايا الكبرى في المنطقة، وإن هذا الملف مرشح للعديد من التطورات والتفاعلات خلال السنوات القادمة لأكثر من سبب، مما يمكن إجماله فيما يلي:

* ازدياد الاهتمام بقضايا حقوق الإنسان ومشاكل الأقليات في العالم.
* مطالبة الأكراد بحل تاريخي على غـــرار »حل الصراع العربي الإسرائيلي« و »الصراع بين البيض والسود« في جنوب افريقيا.
* تنامي وعي الأكراد وتحولهم إلى قوى سياسية في كل تركيا والعراق وإيران.
* شعور الغرب بوجود فراغ استراتيجي فـي الـمنطقة يمكن أن يخترق من قبل ما يسمونة بالأصولية الإسلامية.
* محـاولة الغرب استغلال هذه الورقة وتأسيس المناطق الآمنة للأكراد شمال العراق ، هو الخطــوة الأولى لتوتير الصراع الدائم في المنطقة (1) وسيكون هذا المقال فرصة لإعطاء فكرة موجزة عـــن هذا الشعب المسلم تاريخاً وواقعاً وعن معاناته وأسبابها والمؤامرة ضده والحل لمشكلته على النحو التالي:

لمحة جغرافية وتاريخية:

بلاد الأكراد أو »كردستان« منطقة واسعة تبلغ مساحتها (500٫000) كم2 يعيش فيها ما بين (25 - 30) مليون كردي مسلم ، وهم أكبر شعب في العالم ممن لا يملك السيادة على أرضه ، ولا إدارة بلاده بنفسه ، إذ أنهم موزعون على خمس دول هي: تركيا حيث يعيش فيها حوالي (10٫000٫800) نسمة وفي العراق (10٫000٫400) نسمة ، وفي سـوريـــا (مليون) ، وفي إيران (5٫000٫500) نسمة ، والأكراد شعب عريق دخل الإسلام بعد فتح بلاده على يد الصحابي الجليل »عياض بن غُـنْـم« سنة (18 هـ) ، وكـان »القعقاع بن عمرو« قد فتح قلعة حلوان جنوبي بلادهم سنة (16 هـ)، فـدخـلــوا في دين الله أفواجاً وحسن إسلامهم وبقوا موالين للدولة الإسلامية حتى بعد سقوطها في حمأة النعرات القومية من عربية وطورانية ، وشارك الأكراد في كثير من

الأحداث التاريخية الإسلامية ، ومن أبرزها نصرتهم للعباسيين فـي قـيـام دولـتهـم وإعادة الخـلافة العباسـية إلى مصر على يد القائد المظفر »صلاح الدين الأيوبي« ثم كانت لهـــم حـكـوماتهم المستقلة في ظل الخلافتين العباسية والعثمانية ، ومن أهمها الحكومة الروادية في تبريز: 260-618 هـ ، والحكومة الشدادية بآران: 340-465 هـ ، الحكومة الدوستكية في ديار بكر ، والحكومة الأيوبية في مصر والشام وغيرها ، ونبغ من الأكراد علماء مشهورون ، أثروا الفكر الإسلامي أمثال (ابن خلكان، وأبناء الأثير الثلاثة، وابن الحاجب، وابن الصلاح، والحافظ العراقي) ، ومن أبرز دعاتهم وعلمائهم المعاصرين (أمجد الزهاوي ود/ علي محيي الدين القره داغي ، ود/ مصطفى مسلم، والشيخ علي عبدالعزيز ، ود/ حمدي السلفي وغيرهم).

مأساة الأكراد البداية والمقاومة:

نشأت هذه القضية وفقاً لاتفاقية »سايكس بيكو« عام 1919 م ، حيث وزعت مناطقهم على خمس دول كما سبق الإشارة ، وذلك حينما عرف المستعمرون إصرار هذا الشعب الـمسلم على رفض التجاوب معهم ، والسير في ركابهم ، مما أدى إلى معاناتهم ممن حـكـــمـهـم بالتمييز العنصري وتعرضهم للمجازر الوحشية وحملات الإبادة المنظمة كلما بدرت منهم بادرة مقاومة فأصبحت مناطقهم مرتعاً للجهل والتخلف ومسرحاً لتطبيق الأحكام العرفية فحدثت عدة انتفاضات في أجزاء عديدة من كردستان ، ففي تركيا قامت ثورة الشيخ »سعيد بيران« عام 1925 م ، وأخرى قادها الجنرال »إحسان نوري باشا« 1927-1930 م وثالثة في إقـلـيـم »دسـيـم« عام 1937 م ، عدا الانتفاضات التي مازالت قائمة حتى الآن التي يغلب عليها النزعات القـومـية البحتة ، وفي إيران حينما قامت دولتهم (مهاباد) عام 1946 م نسّق الشاه مع السـوفيات آنذاك وبعد وقف دعمها سقطت الدولة عام 1947 م.

وفي العراق لم تهدأ ثـورتـهــم بــدءاً بثورة الشيخ »محمود الحفيد« 1920-1930 م ، مروراً بالثورات البرزانية الثلاث(2) ، التي كان آخرها عام 1961-1975 م حيث انطفأت بعد اتفاقية الجزائر بين شاه إيران البـهـلــوي وشــاه العراق صدام ، لكن الثورة استمرت ولم يوقفها إلا الغازات السامة التي راح ضحيتها ألوف من النساء والشيوخ والأطفال ، ومازال الأكراد يتعرضون لبطش طاغوت العراق حتى الآن.

لهذا تآمر الغرب عليهم!

يؤكد علماء الأكراد ومفكروهم المعاصرون أن شعـبـهـم تعرض لمؤامرة دولية قام بها المستعمر الغربي بتوزيعهم في مناطق متناثرة ، وهذا التقسيم من أهم مظاهر مأساتهم ، يقول الشيخ »القره داغي«(3) إن ذلك التقسيم لم يأت اعتباطاً، بل هو مقصود وبخطة استعمارية مرسومة تهدف إلى ما يلي:

* الثأر من أحفاد صلاح الدين الذين هزموا الغزاة لصليبين في معركة حطين.

* إن الصليبيين لم ينسوا صلاح الدين حينما قام قائدهم وركل قبره برجله قائلاً : »ها نحن عدنا يا صلاح الدين«.
* تمزيق هذا الشعب وإعطاء كل جزء منه لدولة، لجعل المنطقة بؤرة صراع دائم ، وهذا ما حدث بالفعل.
وتعرض الأكـــراد لحروب طاحنة وإفناء بمختلف الأسلحة المحرمة دولياً ولعل أشهرها مذبحة »حلبجة« ، ومما يؤسف له أن كثيراً من الدول العربية ساعدت في إبادة هذا الشعب بتعتيمها إعلاميـــاً على هذا الظلم والطغيان ثم حصل اهتمام مفاجيء بعد حرب الخليج الثانية بالقضية الكردية حيث فتح الباب على مصراعيه أمام عدد من الباحثين والدارسين والإعلاميين ، فـنـقـلـــت معاناة هذا الشعب ونشرت في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ، وصدر الكـثـيـر من الكتب والمجلات عن الشعب الكردي لبيان تاريخه ودوره الإسلامي ومعاناته من ظلم الظالمين ، وإبراز ذلك بعد أن كان معتماً عليه ، ولكن كما قيل »بعد خراب البصرة«.

المأساة مستمرة:

تضمنت اتفاقية الجزائر آنفة الذكرضمان العراق لأمن الأكراد واستقلالهم إلا أنهم تعرضوا للبطش، وزادت معاناتهم بعد حرب الخليج الثانية، ومازالوا يعيشون في ضيق وحرمان، وقد ضيق الخناق عليهم سـيـاسـيــاً واجتماعياً وهُجّرُوا من مناطقهم ، وكان ذلك مقدمة لحصارهم وتصفيتهم جسدياً ، كـــل ذلك لم يحرك ساكناً لدى ما يسمى بالضمير العالمي والأمم المتحدة ومنظماتها ، وتـشــرد الشعب الكردي عن دياره ، ولجأ إلى تركيا وإيران حيث الجوع والبرد والضياع.

لماذا فشلت انتفاضتهم الأخيرة؟

حينما ثار الأكراد على حكم طاغوت العراق مؤخراً بعد تنفس الصعداء وتشجيع الغرب لهم ، فشلوا في استثمار انتفاضتهم لأسباب منها:
* لم يعرف مقاتلوهم استعمال الأسـلـحــة الثقيلة التي استولوا عليها من جيش العراق ، واستمروا في استخدام أسلحتهم الخفيفة.
* النقص في وقود الدبابات وتموين المقاتلين.
* مواطن العجز في القيادة والتحكم والاتصالات بين القادة ، وما وجد من وسائل لم يكن فعالاً .
* فشلهم في حرب المدن حيث لم يتعودوا إلا على حرب العصابات.
* تردد الغرب في مساعدتهم حتى لا تقوم لهم دولة ، ربما يكون لها أبعاد أخرى غير مرغوب فيها (4).
* التحرك من خلال رؤية قومية.
ومما يؤسف له أن هذه الألوف من المهاجـــريـــن كانت مكاناً مهيأ للغزو النصراني بكافة جمعياته ومنظماته ، أما المسلمون فلم يكن لهم أي دور يذكر

سوى جهود بعض الجمعيات الخيرية والشعبية ، وحينما زار الأمين العام لمنظمة حقوق الإنسان »إسلام أباد« في باكستان قال في تقريره عنهم بأنه قام بجولة في مخيم »ديار بكر« التركي ، ووجد الخدمات المقدمة للمهاجرين محدودة ولا تكفي حاجاتهم الضــرورية ، وبخاصة أثناء فصل الشتاء ونزول الثلوج فالمهاجرون أعطوا خيمة واحدة لكل أسرة مهما كان عددها ، وبعض الفرش التي لا تؤدي الغرض مع تقديم القليل من الخبز والـعـلاج ، وقد تحدث المهاجرون للمندوب عن مأساتهم ، وكيف ضربوا بالغازات السامة بواسـطــة الطائرات ، مما اضطرهم للهرب من الموت المحقق ، تاركين موتاهم وجرحاهم وممتلكاتهم وأراضيهم.
ثم قدمت منظمة حقوق الإنسان مشروعاً عاجلاً للإغاثة بعدما وعدت الحكومة التركية بتقديم التسهيلات لإيصال المساعدات للمنكوبين ، ولكن المأساة مازالت مستمرة وواقعهم مايزال بائساً ، ومازالوا تحت الحماية الدولية من الناحية الأمنية مع اختراقها أحياناً من قبل حاكم العراق ، لكن معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية كبيرة ، وحتى تؤدي المعونات دورها لابد أن تعاش مأساتهم المروعة التي نقلت بعضها وكالات الأنباء مع التجاهل للكثير منها لاسيما بـعــد تحركات الحكومة التركية واضطـهـادهـــا للأكراد فيها والضغط عليهم وتجريدهم من حـقــوقهم الإنسانية ، وبخاصة بعد الصراع بـيـن الحكومة التركية وحزب العمال الكردي ، الذي تسـبـــب في إيجاد المزيد من المعاناة لـهــــذا الشعب المغلوب على أمره(5).

لماذا تسيد العلمانيون الأكراد؟

الملاحظ أن العلمانيين الأكراد هـــم أولوا قوة وسلطة وبروز ، وذلك لأن الأكراد منذ بداية هذا القرن ابتلوا بما ابتلي به كثير مـــن الشعوب العربية والإسلامية من الجهل بالإسلام الصحيح ، والغزو الثقافي فكثرت فيهم الاتجاهـــات المنحرفة وعـلـى رأسـهـــا الأحزاب العلمانية والقوميات والتوجهات الصوفية ، التي عـزلـــت الدين عن الحياة ، وعـــاشت طقوسها بعيداً عن واقع شعبها وضرورة النهوض به.

وأسباب التوجهات العلمانية يمكن أن ترجع إلى ما يلي:

* أن الدول التي عاشوا فيها قامت على نزعات قومية كما في العراق وتركيا مثلاً، مـمـــا دفعهم إلى الدعوة إلى القومية الكردية ، مع ملاحظة أن الأكراد من أواخر الشعوب المسلمة التي أخذت بهذه النعرة ، إذ بقيت انتفاضاتهم حتى العشرينيات وهم ينادون بالإســلام كما في ثورة الشيخ »محمود الحفيد«.
* قيام الدول والأنظمة الحاكمة بإيقاع أشد أنواع الظلم لهم وهضم حقوقهم مما جعلهم في حالة ثورة وغضب دائمين ، فجاء القوميون ورفعوا شعاراتهم البراقة بدعوى الإنقاذ مـــع دعايات كاذبة ضد الإسلام ، من هنا جاءت شعبية

أولئك العلمانيين من قبَل الأكراد ، مع جهلهم بحقيقة هؤلاء وانحرافاتهم الفكرية.
* الدعم الضخم الذي حصلت عليه تلك الأحزاب القومية من الشرق والغرب ، بينما لم يحصل الإسلاميون على شيء وجهودهم المحدودة تقوم على مواردهم الذاتية الضعيفة.
* وسائل الإعلام الغربية والشرقية أبرزت العلمانيين ، وضخمت صورتهم واعتنت بهم ودعمتهم.
* إن الحركات الإسلامية لم تولي عنايتها بكردستان ، ولم تقم بواجبها نحوها في البلاد العربية وتركيا ، ولذلك تأخر قيام كيان خاص بالجماعة الإسلامية هناك(6).
* محاولة إيجاد فرقة وصراع بين الأكراد والعرب عن طريق إحياء القوميات.

الحركة الإسلامية الكردية:

انـتـبـــه العلماء والمفكرون الأكراد إلى واقع شعبهم واستغلال العلمانيين لمعاناته ، فقامت جهود دعوية مشكورة منها الجماعة الإسلامية الكردية »بارتيا إسلاميا كردستاني« ، التي تأسست في 11/12/1400 هـ ، وقام المؤسسون بإعلان دستورهم الإسلامي بعنوان »يا شباب كردسـتــان اتحدوا« ، داعين للالتفاف حول الإسلام ، وأن الغاية المنشودة توجيه ضربة قاصمة لـلاسـتـعـمار وأعوانه ، ولها مجلة هي لسان حال الجماعة والناطق الرسمي لها ، وشعارها »الله ربنا والإسلام ديننا ومحمد نبينا« ، وتستلهم مواقفها من واقع الشعب الكردي وفق تصور إسلامي بعيد عن القوميات والعنصريات(7).
ومع انتشار التوجـهـــات الصوفية السائدة في المجتمع الكردي مثل »الطريقة النقشبندية« والطريقة »القادرية« ، إلا أنـــه برز عدد من العلماء الأكراد المتميزين بعيداً عن التوجهات الصوفية السائدة ، فدعوا إلى الإسلام الصحيح ، وقاموا بجهود علمية وإعلامية ، وأسسوا المجلات الإسلامية المعروفة ، ومن أبرزها:
1- نداء الحق: التي يشرف عليها الشيخ »علي القره داغي«.
2- حلبجة: والتي يرأس تحريرها »الأستاذ محسن جوامير«.
3- جودي: لسان حال الحركة الإسلامية
وفي نظري أن على إخواننا علماء الأكراد بذل المزيد من التوعية للشعب الكردي، ومحاولة إيقاظه من الجهل بإسلامه، لاسيما ما ينتشر فيه من اتجاهات عقدية منحرفة وعلى رأسها »اليزيدية« و »العلوية« و »والصوفية،وكذلك فضح الاتجاهات القومية والعلمانية السائدة المرتزقة باسم هذه القضية، الـتـي كـثـيــراً ما لمزت الإسلاميين ووصفتهم بالتطرف والإرهاب زوراً وعدواناً ، ومن ذلك ما ذكره الصحفي الكردي »هيلكوت حكيم« الذي يقول بكل صفاقه: إنه لا يوجد قرية كردية يفهم سكانـهـــا بوجــود حـــزب إسلامي سياسـي [الحـيـــاة العدد 11352].

والأكراد ولله الحمد أكثرية سنية اشتهروا بالشجاعة والكرم ، يحبون الإسلام ويعتزون به ، ويحترمون رموزه الإسلامية قديماً وحديثاً ، ولو وجد الإسلام الصحيح لما تَسَيّد أمثال البرزاني والطالباني في صفوف الأكراد ، ومن قبل حاول القياصرة والروس استغلال هذا الشعب المسلم والاستعانة به ضد العثمانيين ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل.
إن غياب الإسلام الصحيح اليوم هناك جعل بغاث الطير يستنسر ، أليس من المخجل أن يسبقنا الشيوعيون والعلمانيون واليهود والنصارى إلى إخواننا الأكراد الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام طوال تاريخهم؟
ـ أين الدعاة إلى الله في مناطق الأكراد؟
ـ أين الطلاب الأكراد في المعاهد والجامعات الإسلامية؟
ـ أين الكتب والرسائل والصحف والمجلات المترجمة لكل ما ينفهم بلغتهم؟
ـ أين الجهود لإنشاد الجمعيات الخيرية التي تهتم بهم وتعينهم على أعباء الحياة بدلاً من جمعيات التنصير؟!
ليت الدعاة المسلمون يدركون خطورة الموقف ، ويفتحون قلوبهم لإخوانهم هناك ، وليت التجار يتنادون إلى فتح المدارس والمستشفيات والمساجد في مناطق الأكراد(8).

الحل لمشكلة الأكراد:

هل الأكراد يريدون دولة مستقلة؟ هل هم انفصاليون؟ الحقيقة أن الأكراد يريدون أن يعيشوا في ظل عزة وكرامة كبقية الشعوب الأخرى ، يريدون أن يعترف بوجودهم وبلسانهم وحقوقهم.. هذا ما يريدونه ، وحتى المشروع الذي قدمه الأكراد ليس فيه الرغبة للانفصال وكل ما فيه المطالبة بالحكم الذاتي ليس إلا.
وليس من مصلحتهم المطالبة بإقامة دولة مستقلة لهم في ظل الأوضاع الحالية ، وذلك لما يلي:
* كونهم موزعين على أكثر من دولة ولا يمكن أن تسمح تلك الدول بقيام دولتهم.
* ومع تشجيع ما يسمى النظام العالمي الجديد لحق تقرير المصير لكثير من الشعوب إلا أن مصالح الغرب مع دول المنطقة تجعله لا يؤيد قيام تلك الدولة.
* موقع الدولة الداخلي لا يشجع على استقرارها لكونها محاطة بأعدائها مما يطيل معانات شعبها.
* لو قامت تلك الدولة فإن زعماءها سيكونون من العلمانيين اليوم ، الذين نادوا بالتعاون مع الصهاينة جهاراً نهاراً.
ولو قدر جدلاً قيام دولة كردية لأي ظرف طارىء فإنها لضمان قيامها ستنفذ المطلوب منها كما يلي(9):

* إقامة علاقات وثيقة مع العدو الصهيوني ، وستكون منطلقاً له ضد أي نهوض عربي أو إسلامي قادم.
* ستنسق مع تركيا للسيطرة على موارد المياه لنهـــــري دجلة والفرات مما قد يؤثر على المدى الطويل على إمداد المنطقة العربية بالمياه.
* ليس من المستبعد أن يعرض العلمانيون الأكراد خدمـاتـهـم على الغرب لضرب التوجه الإسلامي في المنطقة وبخاصة وأن موقفهم من الإسلاميين سيء جـــداً وضربهم لهم مؤخراً معروف.
* فضلاً عن أن تجارب الأكراد المعاصرة في محاولة إقامة دولتهم غـيــر مشجعة وسلبياتها أكثر من إيجابياتها.

إن حل مشكلتهم في الإسلام والإســلام وحده لو طبق. فعلى إخواننا الأكـــراد في ضوء هذا الواقع المؤلم أن يعطوا ثقتهم للعلماء والمفكرين الإسلاميين بعد فشل العلمانيين في مشاريعهم الـمـعـتـادة ، وعـلــى الـدعــاة والعلماء أن يقوموا بواجب الدعوة للإسلام الصـحـيح ونبذ الاتجاهات المنحرفة ، والتربية لشعبهم المسلم وتحذيره من الأحزاب العلمانية المرتـزقـة ، وألا يستعجلوا الصراع مع تلك الأحزاب كما حصـل في الآونة الأخيـرة، لأن الـنـتـائـــج معروفة سـلفاً فهم أقل عدة وعتاداً من تلك الأحزاب العلمانية. فهل يفطن أحبتنا الأكــراد لهذه المسألة ويقوموا بواجباتهم المفترضة؟! عسى ولعل.

والله نسأل لهم النصر والعز والتمكين تحت راية التوحيد ، والله غالب على أمره.

هـوامـش:

(1)الإصلاح ، العدد 271 ، بتصرف من مقال عن القضية الكردية للأستاذ عبد الله عبدالرحمن.
(2)اتهم الملا (مصطفى البرزاني) باتهامات كثيرة ، وهناك رأي آخر منصف ، انظر (علماء الأكراد).
(3)مجلة المجتمع »لقاء مع الشيخ الدكتور/ علي محيي الدين القره داغي« ، العدد 1052 (بتصرف).
(4)مجلة »قراءات سياسية« ، العدد 1/3 عام 93 ، بتصرف من مقالة »المسألة الكردية«.
(5)الشعب الكردي المسلم (بتصرف).
(6)المجتمع ، العدد 1052 (بتصرف).
(7)المجتمع ، العدد 739 بتصرف، وانظر تقويم لهذه الجماعة في كتاب المذاهب والأفكار المعاصرة للأستاذ محمد الحسن.
(8)مؤامراة الدويلات الطائفية ، محمد عبدالغني النواوي (بتصرف).
(9)مجلة »قراءات سياسية« (بتصرف).

انظر حواشي المقالين المنشورين في مجلة »قراءات سياسية« السابقة الذكر وما يحفلان به من
مراجع أجنبية كثيرة ، وكذلك كتاب »الأكراد شعب مهضوم« لديفيد داول ، انظر عرضاً له
في مجلة »المجلة« العدد 639 ، وبعض المراجع المشار لها في هذا المقال ، لتعطي فكرة عن
الأكراد والواجب حيالهم.
انظر ما يتعرض له أطفال الأكراد من تنصير ، وكذلك دور المرأة الكردية وحاجتها للتوعية الإسلامية في كتاب »من للأكراد؟« لأحمد إسلام.

اعـرف عـدوك

دولة يهود من الداخل

صـالح العويشـق

لقد كان محور تفكير »يهود« على مر القرون ينصب على أمرين مهمين الأول المال حيث إنهم قد أشربوا حبه كما قال تعالى: ((وأشـربوا في قلوبهم العجل بكفرهم))(1) ، أما الثاني فهو العودة إلى أرض كنعان ، وإذا كانت الأفـكار الصهيونية الداعية للعودة قد ظهرت ممثلة في حركة سياسية في القرن التاسع عشر الـمـيلادي ، فإن جذورها الفكرية تعود إلى أيام النفي إلى بابل ، ولقد نجحت الحركة الصهيونية في تجميع »يهود« وإقامة دولة لهم في فلسطين ، ولكن آثار فترة الشتات الطويلة تبدو واضحـــة للـعـيــان في التركيبة الاجتماعية والدينية والسياسية لمجتمعهم اليوم.
وفيما يلي نبذة موجزة توضح التناقضات التي يعيشها »يهود« مصداقاً لقوله تعالى:
((لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جـــدر بأسـهـم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون))(2).

النظام الاجتماعي:

المجتمع اليهودي: مكون من خليط مـتـنـافر من الجماعات ذات الاتجاهات الـمـتـنـافرة، والأصول المتباعدة ، والفروقات الثقافية والـعـنـصرية ؛ لذا كان من الطبيعي أن يكون لكل جماعة منها تأثيرها على الواقع السياسي للعدو.
والهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على تـلـــك الفروقات والتناقضات التي تضرب أطنابها في تركيبة ذلك المجتمع.

ويمكن تقسيم المجتمع في دولة يهود إلى قسمين رئيسين:

1- الإشـكناز: وهم يهود استقروا في شمال أوروبا وشرقـهـــا ، وقد تأثروا بنمط الـحـيـاة الـغـربية ، ويختلفون عن غيرهم في بعض نصوص الصلاة وبـعـــض طقوس الأعياد ، وهم أقطاب الصهيونية الحديثة.(3).
2- السـفارديم (السفارد): وهم اليهود الذين استقروا في حـــوض البحر المتوسط وفي الوطن العربي وإيران ، وكان للغة العربية تأثير قوي على لغتهم الأم(4).
ويمثل الإشكناز أقلية إلا أنهم هم المتنفذون في الكيان الصهيوني،فنظرة إلى أعضاء الكنيست (البرلمان) أو أعضاءالحكومة ، أو حتى رؤسائها تجد هذا الأمر واضحاً :
* حكومات العدو حتى 1984م قد ضمت 6 وزراء شرقيين من بين 58 وزيراً، حيث شغلوا وزارتي البوليس والبريد غالباً (5).
* لم يرأس الحكومة قط يهودي من السفارديم.
* أما رؤساء الدولة فكانوا كلهم إشكناز ما عدا واحد من السفارديم ، مع العلم أن منصب رئيس الدولة شرفي.
* لا يمثل السفارد سوى 9 % فقط من الوظائف القيادية في المجال الاقتصادي(6).
وعلى الرغم من أن اليهود الشرقيين يشكلون غالبية السكان، إلا أن الـيـهـــود الإشكناز يحاولون منذ زمن بعيد المحافظة على الوجه الغربي الحضاري للدولة.
يقول »إسحاق دويتشر«: »يوجد نوع من العداوة بين اليهود الشرقيين والغربيين ، إلا أنني أعتقد شخصياً أن اليهود الغربيين سوف يصهرون في النهاية الشرقيين ؛ لأنـهـم يمثلون الحضارة الأرقى التي تنتصر في العادة على الحضارة الأدنى«(7).
ومع أن الهوة بين المجتمعين واسعة جداً ، إلا أنها تزداد اتساعاً عند الحديث عن يهود »الفلاشا«(8)، فإننا نجد معظمهم يعاني من العزلة والوحدة في المجتمع الصهيوني، ويتعمد اليهود الآخرون استخدام لفظ (كوشي) بمعنى (العبيد) في التعامل مع الفلاشـــا، مما يزيد من عمق الهوة الفاصلة بين هاتين الطبقتين.
ويصور بعض ما يعانيه يهود الفلاشا قول أحدهم: »لقد كُنا في أثيوبيا بشراً أما هنا فلسنا سوى حمير«(9) ، وفي الجهة المقابلة يقول رئيس وزراء إسرائيل سابقاً (ليفي أشكول): »إن كل المهاجرين متساوون ، إنما هنالك مهاجرون متساوون أكثر«(10).
أما الحديث عن الاختلافات المذهبية بين اليهود فهو حديث ذو شجون وسآخذ بطرف منه هنا مع الإشارة إلى أن بعض تلك المذاهب قد اندثر وفيما يلي أهم المذاهب اليهودية:

1- الغريزيون: وهم (الربانيون) يلقبون أنفسهم »الحسيديم« أي الأتقياء ويعتقدون بأن عيسى عليه السلام زنديق! وإن كانوا معتقدين بظهور مسيح منتظر ، كما أنهم يوجهون العامة إلى احتقار الأمم والأديان والأجناس الأخرى(11).
2- القناؤون: شعبة من الغريزيين إلا أنهم يمتازون بالـتـطـــرف والعنف ويتمسكون بفكرة الوطن اليهودي الحر المستقل ، وهم يفضلون الموت على أن يـبـايعـوا حاكماً أجنبياً ، ومع أنها اندثرت كجماعة إلا أن أفكارها تسربت إلى الفكر الصهيوني الحديث(12).
3- القراؤون: من أشد أعداء الغريزيين ، ويرون أن الربانيين قد استولـــوا على مقدسات إسرائيل ، ومن الملفت للنظر وجود التشابه بين المنحى الفلسفي لهذه الطائـفـة مع المنحى الفلسفي عند المعتزلة(13).
4- الإصلاحيون: يميلون إلى التساهل في أخذ الأحكام ، وينكرون التوراة كمـصـدر ، وقد صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل المزعوم ، كما أنهم أنكروا أن يكون الخلاص مـعـنـــاه إقامة دولة في فلسطين ، ومما يرونه أن اليهودية دين فقط ، وليست جنسية(14).
5- المارانوس: يعتبرهم المتأخرون من علماء اليهود خارجين عن الدين اليهودي ، وكانوا في أسبانيا مدة عيشهم يظهرون النصرانية ، ويبطنون اليهودية(13).
6- الصـهـيـونية: هي حركة التحرر الوطني اليهودي ، ومن مضامينها العودة إلى »أرض الميعاد« وإقامة الدولة اليهودية عليها ، ويمكن اعتبارها حركة سياسية ترفع شعاراً دينياً مع تبني العلمانية في نظم الدولة ، ومن أهم أهدافها:
* المحافظة على تميز العنصر اليهودي.
* العمل من أجل العودة إلى »أرض الميعاد«.
* السيطرة على جميع شعوب الأرض وتسخيرها لخدمة الجنس اليهودي(16).
7 -الفلاشا: طائفة من اليهود على أساس مذهبي وعرقي، حيث إنهم يسكنون شرق القارة الإفريقية وفي الحبشة بخاصة، كـمـا أنهم لا يعرفــون اللغة العبرية ولا يؤمنون بالمشنا ولا بالتلمود ، إلا أنهم يؤمنون برسالة مـوسـى عـلـيـه السلام ومن بعده وبالكتاب الـمـقـدس، والجدير بالذكر أنه لا يوجد أي دليل قوي يبين مـبـدأ نشأتهم ، وسبب اعتناقهم للديــن اليهودي(17).

النظام السياسي لدولة يهود:

إن من الأمور الملفتة للانتباه في النظام السياسي عندهم هو ذلك العدد الهائل من الأحزاب السياسية (28) حزباً تجتمع فيما بينها في تكتلات ذات أهـــداف قــد تـتـوافـق في بعض خطوطها العريضة ، ويرجع بعض الباحثين ذلك التعدد إلى الأسباب التالية:
1- عدم انتمائهم إلى تراث تاريخي واحد.

2- وجود اختلافات عقائدية بين الصهيونيين أنفسهم،تتفاوت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.
3- نزعة كل فريق منهم إلى التكتل مع أبناء وطنة القديم الذي هاجر منه(18).
والواقع أن تعدد الأحزاب ليس إلا انعكاساً للتركيبة المتناقضة لذلك المجتمع والتفاوت الظاهر بين مختلف فئاته.
ويمكن تصنيف الأحزاب عندهم على النحو التالي: »التجمع العمالي« وفيه حزب العمل ، الأحزاب اليمينية (الليكود) ، الأحزاب الدينية ، الأحزاب الشيوعية.
وهناك بعض الكتاب يرى تقسيمات وتصنيفات أخرى للأحزاب السابقة ، وسأكتفي هنا بالإشارة إلى أهم برامج وأهداف بعض الأحزاب والتجمعات السياسية اليهودية الرئيسة.

أهداف حـزب العمل:

السلام الحقيقي والدائم بين دولتهم وجاراتها ، تجميع الشعب اليهودي في »بلاده«، القدس الموحدة هي عاصمة دولتهم ، معارضة قيام دولة فلسطينية في المنطقة الواقعة بين إسرائيل والأردن.

أهداف حـزب الليكود:

منع إقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، القدس عاصمة دولتهم الموحدة ، ضمان قوة الدولة وتعزيز أمنها وإقرار السلام مع جيرانها شرق الأردن هو جزء من أرض دولتهم التاريخية.

الأحزاب الدينية:

بالرغم من أن كثيراً من اليهود غير متبعين لأحكام الدين اليهودي ، إلا أنـهـم يـتـأثرون بالمطالب ذات الصبغة الدينية التي تطالب بها هذه الأحزاب(19).
والأحزاب الـديـنـيـة قديمة ومن تطلعاتها:
* يولي حزب (أغودات) المسائل الدينية الاهتمام الأساس في نشاطه الـسـيـاســي ، ويربط تأييده للحكومة بمدى استعدادها لتطبيق بعض القوانين الدينية اليهودية.
* أما حزب(المفدال) فهو لن يُسَلّم أي جزء من »أرض إسرائيل« المزعومة إلى حكم أجـنـبـي، وبين النهر والبحر تقوم دولة واحدة هي إسرائيل وعاصمتها الموحدة القدس،كما يسعى إلى سلام بين إسرائيل وجيرانها.

الأحزاب الشيوعية:

ومنها حزب (حداش) الذي يتكون من حزب (راكاح) ومنظمة الفـهـود السود ، ومما يدعو إليه تحقيق السلام العادل في نظره، وذلـك بانـسـحـاب إسـرائـيـل من جميع المناطق التي احتلت عام 1967م بالإضافة إلى

الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير،وإقامة دولة له في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية(20).
ومن إفرازات الصراع الطائفي اليهودي ظهر حزب (حركة شاس) المسمى اتحاد السفارديم حراس التوراة ، وتركز هذه الحركة اهتمامها على المجالات الدينية كما أن هذه الحركة ترى أن فلسطين كلها (لشعب إسرائيل) بحكم وعد التوراة.
ونستطيع ملاحظة مدى التشابه بين برامج الأحزاب الإسرائيلية وبخاصة فـيـمــا يـخـص العلاقة مع الدول العربية.
والجدير بالذكر أن تلك الأحزاب السياسية تتجه دائماً إلى الـتـكـتـل فـي وجــه أي خطر خارجي بغض النظر عن الاختلافات الموجودة حال السلم(21).
وفي ختام الحديث عن الأحزاب الإسرائيلية أشير إلى ما قاله عضو حزب العمل السابق (أبا إيبان): »إن إسرائيل الآن في مفترق الطرق ، فإمـــا أن تـتـفــاوض وتبادل الأرض بالسلام، وتحافظ على حلم إقامة الدولة اليهودية، وإمـــا أن تتخلى عن هذا الحلم، وتصبح دولة قمعية مستبدة يحكم مصيرها صراع داخلي رهيب«(22).

الهـوامـش:

(1)سورة البقرة:93.
(2)سورة الحشر:14.
(3)الفكر اليهودي ص 202.
(4)الفكر اليهودي ص 202 204.
(5)حكم الإشكنازيين ، نقلاً عن »إسرائيل من الداخل« ص 57.
(6) الأيدلوجية الصهيونية ، ج2 ص32 36.
(7)اليهودي واللايهودي ص 77.
(8)وهم يهود الحبشة ويختلفون عن الآخرين بعباداتهم وبعض معتقداتهم.
(9)يهود الفلاشا ص 190، 191.
(10)إسرائيل من الداخل ص 57.
(11)الفكر الديني اليهودي ص210-213 ، اليهود تاريخ وعقيدة ص 204-205.
(12)الفكر الديني اليهودي ص 217 -220.
(13)الفكر الديني اليهودي ص 237 -256 ، اليهود تاريخ وعقيدة ص 208.
(14)الفكر الديني اليهودي ص 264 -269.
(15)الفكر الديني اليهودي ص 259 -260.
(16)الصهيونية: نشأتها وتنظيماتها ص 26- 30.
(17)انظر يهود الفلاشا ، الفكر الديني اليهودي ص 270.
(18)النظام السياسي الإسرائيلي ص335 -347 ، الصهيونية جذورها ص 131- 132 ، نظام الحكم في إسرائيل ص 71.

(19)رسالة د. مونيه ، نقلاً عن نظام الحكم في إسرائيل ص 119.
20) انظر: النظام السياسي الإسرائيلي ص 357 -499 ،
نظام الحكم في إسرائيل ص 81 -148.
(21)نظام الحكم في إسرائيل ص 80.
(22)إسرائيل من الداخل ص 5..
انظر إلى كتاب »التمييز ضد اليهود الشرقيين في إسرائيل«، بحث »هلدا الصايغ« رقم 85 من دراسات فلسطينية ، مركز أبحاث م.ت.ف. ، 1971 م، والذي يشكل فضحاً للمساواة المزعومة عندهم وأنه لا أمل في حل هذه المشكلة. »البـيـان«

مـقـال

»الاسـتغراب«*
محاولة جادة لتحصين الهوية

د. أحمد بن محمد العيسى

ليس هناك حاجة كبيرة لايضاح طبيعة الـعـلاقــة القائمة بين الشرق الإسلامي ، والغرب (النصراني العلماني) من الناحية العسكرية والـسـيـاسـيـة منذ أن تمكنت الدولة الإسلامية الوليدة من تهديد وجود الدولة الرومانية في الشام ومـصــر وشمال أفريقيا ، ومن ثم تهديد أوربا ذاتها. لقد كان أساس هذه العلاقة ولايزال ، الصراع والصدام العسكري. وعلى الرغم من أن أهداف الفريقين لم تكن واحدة ، إلا أن كل فريق يرى في الفريق الآخر منافساً قوياً وعدواً لدوداً يسعى إلى فرض سيطرته ، وفرض نظامه العقــدي والحضاري في منطقته وبين سكانه. والمسلمون في عصورهم الزاهية كانوا يرون الامتداد الطـبـيعي للدعوة والجهاد يسير في الاتجاهين: الشرق من بلاد فارس والهند وآسيا الوسطى إلى جـنــوب شرق آسيا ، وفي الغرب من المغرب العربي والأندلس إلى جنوب أوربا وشرقها. والـغــرب كان يرى الامتداد الطبيعي لمصالحه وسيطرة مملكاته النصرانية (في العصور الوسطى) ثــم دولـــه الاستعمارية وشركاته الـمـتـعـددة الجنـسـيـات ، في العصور الحديثة يسير في اتجاه الشرق ، ولابد أن يخترق العالم الإسلامي بأكمله حتى يصل إلى الشرق الأقصى.

ورافق علاقة الصدام العسكري والسياسي ، بعدٌ حضاري وثقافي شديد الوضوح والاستقطاب ، فكل فريق منتصر يقوم بتثبيت أركان نظامه العقائدي ورؤاه الحضارية للكون والإنسان في المناطق »المحررة« ، وغالباً ما يقوم الفريق المنهزم كما يقرر ابن خلدون بتقليد الفريق المنتصر »ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه ، في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله..«(1).

ولهذا فلو تتبعنا العلاقة الثقافية بين المعسكرين منذ عصر صدر الإسلام ، وحتى اليوم نجد أنها تميزت بمراحل ثقافية وتاريخية متميزة:

1- في أول عصور الاصطدام الحـضـاري بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني ، لم يكن للدولة الرومانية المنهزمة أي فعل حضاري متميز ، عدا بعض ما نقله المسلمون من أدواتهم الثقافية مثل حركة تعريب الدواوين وسك العـمـلات.. ولهذا فقد دخل سكان البلاد التي فتحها المسلمون في الدين الحنيف دون مـقـاومة كبيرة.. ولكن حصل بُعيد ذلك وفي أواخر عهد الدولة الأموية ، ثم تطور في عـهـــد الدولة العباسية ، ماسمي في التاريخ

الإسلامي »بحركة الترجمة« ، حيث تُرجمت العلوم اليونانية ، مثل الفلسفة والرياضيات والفلك ، إلى العربية. وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد أثـرت تأثـيـراً مهماً في الفكر الإسلامي حيث ظهرت بعض المذاهب »العقلانية« المتأثرة بالفلسفة اليونانية مثل مذهب المعتزلة ، إلا أن هذا التأثير كان تأثيراً ذاتياً تم بمبادرة من المسلمين ، ولم يكن فعلاً ثقافياً مفروضاً من الخارج.
2- وعندما كان المسلمون يمثلون القمة في الفعل الحضاري والتفوق العسكري ، كان لزامـاً أن ينتقل التأثير إلى مراكز الضعف الثقافي في مختلف البلاد التي احتكت بالعالم الإسلامي ، وكان الغرب أحد هذه المراكز ، فحدث أن حصل بعد الحروب الصليبية ، رد فعل قوي في الغرب من جراء الاصطدام بالحضارة الإسلامية ومنجزاتها سواءاً أكان ذلك في الشــرق الإسلامي أم في بلاد الأندلس التي كانت تعيش في الناحـيـة الأخـــــرى أزهى عصورهــا حضارياً.. ولهذا حدث ما يسمى بالاستيقاظ والانتباه الغربي ، قبل مـا يسـمــى »بـعـصــر النهضة« الأوربية. وبدأت تسير بعد ذلك عملية البناء الثقافي في الغرب في اتجاهين: الأول: بـبـعـث الـتـراث الثقـافـي اليوناني والروماني بشكل مكثف ، حتى يكون الركيزة الأساسية للنهضة، والثاني: كان لابد من صد هذا الفكر الغازي وجعله غريباً بين الناس، إما بتجاهله، أو بإيـجــاد الـمـراجـــع العلمية التي تستطيع تفسير هذا الفكر (الغريب) وتصويره للناس بما لا يتعارض مع المقومات الأساسية التي سار بها الإتجاة الأول. أما كيف يتم تجاهل حدثاً ثقافياً بارزاً، وفعلاً حضارياً يطرق الباب ، فتحدثنا عنه المستشرقة »زيغريد هونكة« بقولها: »أما أن تكون ثمة شعوباً أخرى ، وأطراف من الأرض لها شأن عظيم في التاريخ ، بل وفي تاريخنا الغربي خاصة ، فذلك أمرٌ لم يعد بالإمكان تجاهله في حاضر قد طاول النجوم عظمة. لأجل ذلك ، يخيل إلي أن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثر بقوة على مجرى الاحداث العالمية ، ويدين له الغرب ، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير. وعلى الرغم من ذلك فإن من يتصفح مئة كتاب تاريخي ، لا يجد اسماً لذلك الشعب في ثمانية وتسعين منها. وحتى هذا اليوم ، فإن تاريخ العالم ، بل وتاريخ الآداب والفنون والعلوم لا يبدأ بالـنـسـبـة إلـى الإنسان الغربي وتلميذ المدرسة إلا بمصر القديمة وبابل بدءاً خاطفاً وسريعاً ، ثم يتوسع ويتشعب ببلاد الاغريق وروما ، ماراً مروراً عابراً ببيزنطية ، ومنتقلاً إلى القرون الوسطى المسيحية، لينتهي منها آخر الأمر، بالعصور الحديثة..«(2).
كان هذا التجاهل جزءاً من الاستراتيجية الغربية في صد الفكر الإسلامي أمــا إذا اضطر الغرب إلى التعامل مع بلاد الإسلام وخاصة منذ عصر »النهضة« الغربية ، فـكـان لابد من إيجاد وسيلة أخرى ، وكانت هذه الوسيلة هي ما يسمى اليوم بـ »الاسـتـشـراق«. لقد كان للإستشراق مهمة تاريخية واضحة ، وهي تحصين الهوية الثقافية الأوربية عن طريق تكوين المراجع العلمية الغربية

التي تستطيع أن تحدث وتناقش بطــريـقـة علمية لا تدع مجالاً للاختراق الثقافي من الخارج. (يمكن الاطلاع على ما كتبه الأستاذ محمود محمد شاكر في بحثه المتميز: »رسالة في الطريق إلى ثقافتنا« عن تاريخ الاستشراق وأهدافه). ويؤكد إدوارد سعيد في كتابه الهام »الاستشراق« حقيقة أن الدراسات الاستشراقية لم يكن هدفها في الأساس معرفة الشرق على حقيقته ، ولهذا فهو يقول: »أنا شخصياً أعتقد أن قيمة الاستشراق على وجه الخصوص ، هي في كونه علامة على السلطة الأوربية الأطلنطية على الشرق، أكثر مــن كـونـه بحث حقيقي عن الشرق،(وهذا ما يدعيه شكله الأكاديمي)... ولذلـك فــإن الاستشراق هو بعد هام للثقافة الفكرية السياسية الحديثة ، ولهذا فليس له علاقة كبيرة بالشرق، أكـثـر مـن عـلاقـتــه بـعـالـمـنـا »نحن«.. وبطريقة ثابتة فإن الاستشراق يعتمد في استراتيجيته على التفوق المركزي الذي يضع الغربي في مجموعة من العلاقات المحتملة مع الشرق ، ولكن بدون أن تفقده دائماً اليد العليا...«(3).
وأصبح »الاستشراق« من هذا المنطلق يمثل رأس الحربة في توجه سياسات الغرب الاستعمارية منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وحتى الآن حيث لايزال يمارس نفس الدور تقريباً من خلال مراكز الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية ، ومن خلال مراكز الدراسات الاستراتيجية التي ترسم السياسات الغربية في مجالات متعددة.
3- أما المرحلة الثقافية الثالثة التي تميز العلاقة الحضارية بين الغرب والشرق الإسلامي فتتمثل في مرحلة »التغريب« التي بدأت منذ بداية عصر الاستعمار الحديث للعالم الإسلامي من قبل أوربا ، وبالتحديد من غزو نابليون مصر عام 1798 م. وقد استمر »التغريب« سمة ثقافية بارزة حتى بعد أن اضطر الغرب إلى تقويض خيامه العسكرية والرحيل. أما كيف حدث هذا؟ فيحدثنا الكاتب الفرنسي (ك موريل) بسخرية عن تلك الفترة فترة تصفية الاستعمار : »إذا أرخنا للمعارك فقد أخفق الاستعمار. ويكفي أن نؤرخ للعقليات لنتبين أننا إزاء أعظم نجاح في كل العصور. إن أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار.. لقد انتقل البيض إلى الكواليس ، لكنهم لايزالون مخرجي العرض المسرحي...«(4).
ويشير المؤرخ الأمريكي (دافيد فرومكين) عن تلك الحقيقة في كتابه (سلام ما بعد سلام) بقوله: »كان أمراً مألوفاً في بدايات القرن العشرين ، عندما كان تشرشل وضيوفه يمضون الوقت في رحلتهم على متن اليخت أنشانترس ، أن يفترض المرء أن الشعوب الأوربية ستواصل القيام بدور السيطرة الذي تمارسه في الشؤون العالمية إلى أبعد ما تستطيع البصيرة أن ترى. وكان من الشائع أيضاً الافتراض أن الشعوب الأوربية بعد أن أنجزت معظم ما اعتبره كثيرون رسالة الغرب التاريخية أي تحديد المصير السياسي للشعوب الأخرى على الكرة الأرضية فلا بد أنها متممة هذه الرسالة. وكانت بلدان الشرق

الأوســـط بارزة بين البلدان التي كان على الأوربيين التعامل معها ، إذ هي بين قلة من المـناطق المتبقية على كوكبنا دون أن يعاد تكوين شكلها اجـتـمـاعـيـاً وثـقـافـيـاً وسـيـاسـيـاً على صورة أوروبا ومثالها...«(5). إذن كان التغريب الثقافي والفكري (على صورة أوروبا ومثالها) هدف من أهداف الاستعمار العسكري والسيبريالية على الشرق الإسلامي. وبالفعل تمكنت أوروبا من تحويل اتجاه طلائع »المثقفين العرب« إلى الفكر والفلسفة الأوربية لتبدأ »حركة الترجمة« الثانية ، ولكنها هذه المرة حركة مفروضة من الخارج ترى في أوروبا المثال النموذج ، وترى في التراث الإسلامي التأخر والرجعية ، وأصبحت تنظر للحضارة والثقافة من منظار غربي لا أثر فيه للتميز الحضاري ، بل أن »نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يُعاب ، وأن نشعر الأوربي بأننا نرى الأشيــاء كما يراها ، ونقوم الأشياء كما يقومها ، ونحكم على الأشياء كما يحكم عليها...«(6).
الحقيقة أن التغريب يجري على دم وساق ، ويواجه العالم الإسلامي وبقية دول ما يسمى (بالعالم الثالث) ، بشكل لم يسبق له مثيل ، خطر تفتيت الهوية الثقافية والاجتماعية. وعلى الرغم من أن مسيرة التغريب قد بدأت منذ وقت طويل ، إلا أنها بدأت تأخذ أشكالاً مختلفة وأكثر خطورة منذ سقوط الشيورعية ، وانفراد القوة الأخرى بالمسرح العالمي. فقد سيطرت المنظومة الليبرالية الرأسمالية على المنظمات الدولية (الأمم المتحدة، صـنــدوق، اليونسكو، منظمات الإغاثة العالمية، وأخيراً منظمة التجارة العالمية »الجات«..) وتمكنت عن طريق هذه السيطرة من فرض القوانين الدولية التي تراعي نظامها ومصالحها. كما سيطرت المنظومة الليبرالية الرأسمالية على وسائل الإتصال الحديثة وتمكنت بفضل التقدم التقني الهائل من الوصول بقيمها ومعتقداتها إلى جميع بقاع العالم تقريباً. (ينطلق فيض »ثقـافـي« بمعنى فريد من بلدان المركز الغرب ويجتاح الكرة الأرضية). تتدفق صور ، كلمات ، قيم أخلاقية ، قواعد قانونية ، اصطلاحات سياسية ، معايير كفاءة ، من الوحدات المبدعة إلى بلدان العالم الثالث من خلال وسائل الإعلام (صُحف، إذاعات ، تلفزيونات ، أفلام، كتب،أسطوانات، فيدو). ويتركز الجانب الأكبر من الإنتاج العالمي »للعلامات« فـي الشمال، أو يصنع في معامل يسيطر عليها،أو حسب معاييره وموضاته. وسوق المعلومات شبه احتكار لاربع وكالات: أسوشيتيد برسس ويـنـايـتـد برس (الولايات المتحدة) ، رويتر (بريطانيا العظمى) ، فرانس برس. وتشترك في هذه الــوكالات كافة إذاعات العالم ، كافة شبكات تلفزيون العالم ، كافة صحف العالم. ويتدفـــق 65% من المعلومات العالمية من الولايات المتحدة. ومن 30 إلى 70% من البث التلفزيوني مستورد من المركز.. وهذا الفيض من المعلومات لا يمكنه إلا أن

»يشكل« رغبات وحاجات المستهلكين ، أشكال سلوكهم ، عقلياتهم ، مناهج تعليمهم ، أنماط حياتهم« (7).
ولعل من مظاهر هذه السيطرة تفشي الأنماط الثقافية الاستهلاكية في المجتمعات الإسلامية ، ومنها طغيان النزعة الفردية وحب الذات في التعمل مع الآخرين ، وأيضاً الاستسلام للعامل الدعائي في ترويج المنتجات ، وكذلك إتجاه الأفراد وخاصة الشباب إلى الثقافة السطحية السهلة ، فتجد الشاب لا يستطيع أن يجلس ليقرز كتاباً كاملاً ، بل يريد الكتاب مختصراً في صفحة أو صفحتين.. وهكذا ، فنحن كما يقولون في (زمن السرعة) ومنها أيضاً تفشي ظاهرة المأكولات السريعة ، نتيجة لانتشار هذه النوعية من المطاعم والمتاجر ، وكل هذا يعكس الانماط الاجتماعية السائدة في بلاد الغرب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.
وربما كان من أخطر مظاهر التغريب في العلاقات الولية أن أصبح الاقتصاد والقوة المالية هي العامل الأساسي في علاقات وتحالفات الدول ، فلا قيم ولا ثقافة ، ولا مبادىء. وهذا يؤكده المفكر والاقتصادي الفرنسي (جاك أتالي) بقوله: »إن البشرية تدخل في مرحلة من الزمن جديدة تماماًك التاريخ يتسارع ، التكتلات تتفكك ، الديمقراطية تحقق انتصارات جديدة ، ممثلون ورهانات جديدة تبرز على المسرح ، أمام هذه التحولات التي تبدو في ظاهرها مبعثرة لا يربط فيما بينها أي رابط ، يسود لدى المراقبين الحذر من النماذج الموجودة ، ويغلب الاستسلام لمزاج القوى العديدة التي تحرك كوكبنا ، كما يغلب الميل إلى إعطاء السوق دورً حاسماً في كل شيء بما في ذلك دور الحكم في مصير الثقافات..« (8).

الاستغراب: هل يكون المحطة الرابعة؟

ولمواجهة هذا المد الـتـغـريبي الهائل ، لابد أولاً من إدراك خطورة العلاقات الغير متكافئة بين الفريقين، ثم بإتخاذ استراتيجية تعتمد على محورين أساسيين، أولهما: بعث العقيدة الإسلامية الصحيحة والفكر الإسلامي الأصيل ونشره بين الناس ليـكــون الركيزة الأساسية للنهضة ، ثم قيام مراجع علمية إسلامية تدرس الغرب ، وتفهم منطلقاتـــه وأهدافه ونظم حياته الثقافية والفكرية، لتكون الحاجز الأول لتحصين الهوية الإسلامية، وهذا ما نسميه بـ »الاستغراب«. (وهذين المحورين شبيهين بالطريقتين اللتين سلكهما الغرب عـنـد مواجهته للحضارة الإسلامية ، وعندما كان في بداية نهضته الحالية.
وليس في هذا تقليداً لـلـغـرب، بل هما فيما أحسب سنة من سنن الله في الكون).
وعلى الرغم من أن الصحوة الإسلامية المعاصرة قـد أدركـت أهـمـيـــة الشق الأول من هذه الاســتـراتيجية ، فبدأت بالاهتمام بالعلم الشرعي ، وتصحيح المعتقدات، ونـشــر كـتـب العقيدة والعلـوم الإسلامية ، بل لا يزال كثير من المفكرين والمنظرين للصحوة ، لا يدركون خطورة المرحلة الحالية ،

ويحتفظون بأفكار سطحية عن الغرب ، وعن علاقاته بالمجتمعات الإسلامية ، وذلك لغياب المراجــع التي يتستطيع أن تشكل الرؤية الإسلامية عن الغرب ، بعيداً عن تنظيرات فلاسفة »الـتـغريب« المعاصرين (ولا تقل عنها سواً تنظيرات احجاب الفكر الإسلامي المستنير! عن طـبـيـعة العلاقة بين الغرب في ظل ظروف التغريب الشامل).

إن الاستغراب الـذي نشـيـر إلـيــه هـنــا، ينبغي أن ينطلق من أسس واضحة ليحقق بعض الأهداف الهامة:

1- استثمار نجاح الصحوة الإسلامية في كسر حدة الانبهار بالغرب ، حيث بدأ كثير من الشباب المسلم يعيد تقويمه للتقدم التقني الغربي. وحتى يتم تعميق الاعتداد بالـنـفــس ، والشعور بالانتماء للأمة والتميز الحضاري والفكري ، ينبغي نقض وتعرية مفاهيم الغـرب وقيمه التي يبثها في العالم (الديمقراطية ، الحداثة ، الثقافة العالمية.. الخ) ولن يتم هـذا الـنـقــض إلا بمعرفة أسس هذه المفاهيم وتناقضاتها على مستوى التنظير ، وعلى مستوى التطبيق.

2- عند إيجاد المراجع الإسلامية الذين يمكن أن نطلق عليهم بـ »المشتغربين« سوف يتظاءل تأثير (المتغربين) من أبناء المسلمين ، الذيـن يـرون في الغرب ، النموذج والمثال ، في الفكر والأدب والاقتصاد وقيم العمل ، وقيم السياحة ، والـعــلاقـــات الاجتماعية.. الخ ، ولن تحتاج الأمة إلى عناء كبير لكشف شبهاتهم التنظيرية ، إذ أن لديها من يعرف فكر (القوم) ومصالحه ومخططاته.

3- وعندما نتمكن من دراسة الغرب دراسة واعية في سبيل تحصين هوية الأمة ، والحفاظ على مصالحها ، سوف نستطيع دراسة تأثير التطورات التي تحـــدث في الغرب في جميع المستويات السياسية ، والاقتصادية ، والفكرية ، والاجتماعية ، عـلـى ثقافة الأمة وعلى مصالحها ومستقبلها. إن غياب الروية الحقيقية لما يجري في الغرب تـجـعـلـنـــا نعيش في ظروف وأحوال ليست من صنعنا ، ولا نعرف كيف حدثت ، ولماذا ، ومن المستفيد منها؟

إن الاستغراب هو محاولة جادة لدراسـة الغرب ، ليس بهدف الترف الثقافي والفكري كما حصل عندما ترجمت الفلسفة اليونانـية في القرون الإسلامية الزاهية وإنماا لتحقيق مصالح في غاية الأهمية ومنها في الـمـقـام الأول تحصين الهوية الإسلامية في ظل ظروف التغريب الجامح الذي يجري تطبيقه علي أكثر من صعيد.

هـوامـش:

* تناول مصطلح الاستغراب بالبحث والدراسة د/ حسن حنفي في كتابه المعنون بـ (مقدمة في علم الاستغراب) ، وهذا المقال لا يعتمد على ما طرح في الكتاب المذكور بل هو طرح مستقل كما تـرى لـلـمــوضوع ، وكاتب المقال لا يتفق مع د/ حسن حنفي في كثير من منطلقاته الفكرية سواءً مـــا هو مقروء منها في كتابه المشار إليه أو في كتبه الأخرى.

(1) بن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت 1878 ، ص 147.

(2) زيغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة: فاروق بيضون ، وكما دسوقي، منشورات دار الآفاق الحديثة بيروت، الطبعة الخامسة 1401هـ / 1981م. ص 11.
(3) ادوارد سعيد ، الاستشراق ، (الطبعة الانجليزية) ، 1979 ، ص6 وما بعدها.
(4) ك. موريك ، 1985 م. نقلاً من كتاب سيرج لاتوش ، »تغريب العالم« ، ترجمة: خليل كلفت ، دار العالم الثالث ، 1992م ، ص7.
(5) دافيد فرومكين، سلام ما بعده سلام: ولادة الشرق الأوسط، ترجمة: أسـعـد كـامـل الياس ، رياض الريس للكتب والنشر ، 1992م ، ص22.
(6) طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، ص44.
(7) سيرج لاتوش،»تغريب العالم«، ترجمة: خليل كلفت،دار العالم الثالث، 1992م،ص27.
(8) جاك أتالي ، آفاق المستقبل ، ترجمة: محمد زكريا إسماعيل ، دار العلم للملايين ، 1991م ، ص35

من ثمار المنتدى

أنشـطة المنتـدى الإسـلامي

الـتـحـريـر

سـبق الحديث عن بعض مشاريع »المنتدى الإسلامي« مثل: »كفالة الدعاة، وبـرنـامـج شـهـر رمضان الماضي ، ومشروع مكافحة العمى بدولة تشاد« ، وفي هذا العدد نواصل الحديث عن مزيد من المشاريع كما يلي:

الـبـيـان

رابعاً - الدورات والملتقيات العلمية:

يـنـتـشـر الدعاة المحليون في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وتختلف قدراتهم الدعوية، ومـسـتـويـاتـهـم العلمية ، وبسبب غياب العلماء وطلاب العلم وانهماك كثير من الدعاة في أمورهم الخاصة ، أصبح الضعف العلمي سمة سائدة عند كثير من الدعاة.

والعلم الشرعي هــو الأســـــاس في العمل الدعوي ، فإذا غاب العلم حصل الاضطراب عند الدعاة ، قال الله تعالى: ((أفمن يمشي مكباْ على وجهه أهدى أمن يمشي سوياْ على صراط مستقيم))[الملك:22].

ومن أجل ربط الدعاة بالعلوم الشرعية ، وتنمية قدراتهم العلمية ، سعى المنتدى الإسلامي إلى إقامة الدورات الشرعية والـمـلـتـقـيـات الدعوية التي بلغ عددها حتى إصدار هذا العدد (18) ملتقى دعوي و (16) دورة شرعية ، وهي أربعة أنواع:

1- دورات شرعية متخصصة قصيرة:
يشترك فيها الدعاة المتخرجون من الجامعات أو الدعاة المتميزون في المنطقة ، وتقوم اللجنة العلمية في المنتدى الإسلامي بإعـــداد برنامج تفصيلي لهذه الدورات حسب حاجة الدعاة المستفيدين بالتشاور مع بعض العـلـمـاء وطلاب العلم ، ثم يتكفل المنتدى الإسلامي بإرسال عدد من طلاب العلم إلى مقر الدورة، ويـقــوم مكتب المنتدى في المنطقة بالترتيب والإعداد لهذه الدورة ويتراوح عدد المستفيدين في الدورة الواحدة من 50 إلى 100 داعية.

2- دورات شرعية متخصصة طويلة:
يشترك فيها الدعاة المتخرجون من الجامعات الإسلامية ، وهي دورات مركزة يشترك فيها حوالي 30 داعية لمدة ثلاثة أشهر ، وتقام فيها الدروس المتتابعة يومياً بعد الفجر إلى المساء في العقيدة والفقه وأصوله والتفسير والحديث ومصطلحه وفقه الدعوة ، بالإضافة إلى بعض التطبيقات الميدانية.

3- ملتقيات دعوية إقليمية:
ويدعى إليها الدعاة من دول مختلفة، ومن أماكن متفرقة ، ويرسل المنتدى الإسلامي عدداً من الدعاة المؤهلين شرعياً ودعوياً لإلـقـاء الدروس والمحاضرات في هذه الملتقيات ، ويستمر انعقاد الملتقى من عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً، ويـتــراوح عـــدد المستفيدين من الملتقى الدعوي من 80 إلى 150 داعية.

4- دورات شرعية محلية:
يشترك فيها الدعاة المحليون بمختلف المستويات ، حيث يقوم الدعاة المحليون الأكفاء التابعون للمنتدى الإسلامي بالتدريس في هذه الدروات ، ويتم إعداد المنهج العام من قبل اللجنة العلمية بالمنتدى.
ويعتزم المنتدى إقامة عدد من الملتقيات الدعوية والدورات الشرعية في الصيف القادم إن شاء الله.

وتهدف هذه الدورات والملتقيات الدعوية إلى:
1- نشر وترسيخ العقيدة الصحيحة.
2- تنشيط وتقوية الدعاة.
3- نشر العلم الشرعي بين أوساط الدعاة.
4- تواصل الدعاة وطلاب العلم.
5- ترشيح الدعاة المتميزين لكفالتهم ضمن دعاة المنتدى الإسلامي (إن لم يكونوا مكفولين من أي جهة أخرى).
6- جمع معلومات عن المناطق التي ينتمي إليها المشاركون.
7- معالجة المشكلات الدعوية الميدانية التي يعاني منها الدعاة.

تكاليف هذه الدورات:

* التكلفة التقديرية لدورة شرعية متخصصة 300.5 دولار.
* التكلفة التقديرية لدورة شرعية محلية 350.1 دولار.
* التكلفة التقديرية لملتقى دعوي إقليمي 8٫000 دولار.

وهذه التكلفة شاملة لمصاريف السفر والإقامة ومقر الدورة والتغذية والكتب ونحوها.

خامساً - حلقات تحفيظ القرآن الكريم:

أنزل الله عز وجل كتابه العزيز لكي يكون نوراً وهدى للناس ، وحث الرسول - صلى الله عليه وسلم- على قراءته وحفظه وتدبر آياته ، وجعل الله عز وجل أهل القرآن هم خاصته وأحباءه ، فهم خير الناس وأعلاهم منزلة ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وتعلم القرآن وحفظه في الصغر مما يفيد المسلم ويعينه ، وتربية النشء على تلاوة الـكـتـاب العزيز وحفظه وتفهمه مطلب أساس من المطالب التربوية.

ويـسـعى المنتدى الإسلامي ولله الحمد والمنة إلى تكوين المحاضن التربوية لأبناء المسلمين ، عن طريق افتتاح حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

وقد أعـــدت اللجنة العلميـة في المنتـدى خـطة متكاملة لهذه الحلقات يحفظ فيها الطالب كتاب الله عـــز وجـــل كاملاً في ثلاث سنوات ، كما أعدت اللجنة منهجاً مبسطاً لتعليم العقيدة الإسلامية وأصــول الإسلام العامة ، ليشب الطفل ويترعرع منذ نعومة أظفاره على العلم الصحيح والعقيدة السليمة.

يُدَرّسُ في كل حلقة داعية ، أو معلم قرآن ، ويشرف عليه أحد الدعاة ويقدم المدرس بعض الهدايا والجوائز التشجيعية للطلاب لجذبهم وتـقـريـبـهـم إلى الحلقة ، وبخاصة المتفوقين منهم ، ويبلغ عدد الدارسين في الحلقة من 20 إلى 50 طالباً.

وحيث إن المصاحف غير متوفرة في كثير من البلاد الإسلامـيـــة ، فإن الطلاب يستخدمون غالباً الكتابة على الألواح ، ولهذا فإن المنتدى سوف يقوم إن شـــاء الله تعالى بتوفير نسخ من القرآن الكريم لجميع الطلاب.

كما سوف يطبع المنتدى الإسلامي إن شاء الله المنهج العلمي المعد لتـوزيـعـه على المعلمين.

ويبلغ متوسـط التكلفـة الشهريـة لحـلـقـة تحـفـيـظ الـقـرآن الـكـريم 80 دولار ، والمتوسط السنوي يبلغ 960 دولار ، وذلك يشمل: مكافأة المعلم ، والمصاحف ، والمنهج الـعـلـمـي ، والجوائز التشجيعية ، والمستلزمات الأخرى.

مـنـتـدى الـقـراء

الاعتـذار من العلم!!

جـمـال الـحـوشـبـي

مع كل يوم تشرق شمسه.. تقذف المطابع بالآف الكتب والرسائل العلمية التي تُعنى بقضية (الردود) بين العلماء، أو قضية (النقد) للأطروحات أو المطبوعات، طـمـعـاً فـي التعديل أو التبديل.
كل ذلك أضحى سمة من سمات العصر اكتسحت الساحة الإسلامية كغيرها مـن القضايا ، وأخذت هذه الردود بالفعل (حيزاً) لابأس به من المكتبة الإسلامية الخاصة لـدى كثير من الأفراد.
لم تعد وسائل نشر تلك الردود هي الأوراق، فـقـد تـعــدت ذلك النطاق إلى وسائل أخرى مسموعة ومرئية ، وحتى نتبين حقيقة الأمر علينا أن نرجع قليلاً إلى الوراء!
لقد مـر على الأمة الإسلامية حقبة من الزمن ليست بالبـعـيـدة كان الفقه فيها أحكاماً بلا أدلة ، والفقيه راوية بلا اجتهاد ، والنحوي حافظاً بلا مـلـكـة ، كل ذلك يسير في رتابة عجيبة لم تتبدل ، وعلى طريقة شوهت صفاء الشريعة ونقائها ولـمـا أراد الله أن تـعـــود للشريعة مكانتها ، ويعود الفقه الإسلامي دفاقاً زاخراً متحرراً من ربقة (التعصب) المذهبي والجـمــــود الذي قضى على روح البحث والاجتهاد يُسرَ سـبيل مثل تلك الردود العلمية المجرّدة مـن الهـــوى، ومـثـل ذلـك الـنـقـــد الهادف بين العلماء. إن التجّرد (للحق) لا للأشـخاص والدعوة إلى نبع الكتاب والسنة ونـبــــذ ما خالفهما هي السمة التي يجب أن تُصبغ بها تلك الردود.
واليوم وفـي غمرة انشغال بعضهم بمثل هذه الردود التي أخذت تطفو على السطح أكثر من أي وقت مضى ، تبقى الحاجة ماسة إلى التذكير بضوابط مثل تلك الردود والانتقادات.
إن من أهم تـلـك الـضـوابـط وأولاها بالطّرْق والتذكير قضية التأدب مع العلماء المجتهدين والدعاة المخلصين من أهل السنة في شـتى بقاع الأرض وتتأكد أهمية تلك القضية إذا علمنا أن بعض القضايا قد يتصدى لها من لا يحسنها ، كـمــا أن الأمر قد يوسد أحياناً إلى غير أهله!! وقبل هذا وذاك الحذر من خطرات النفس والـهــــوى وتزيـيـن الشيطان وحزبه ، فإنهما يؤديان إلى تزييف الحقائق ، وإلى اتهام النوايا بغير برهان!
لقد زاد من غربة العمل الإسلامي اليوم فئام من الناس مادت بهم سفينة العمل الإسـلامي ، وهم مع من يدّعون الإصلاح: يقولون ما لا يعملون ويعملون ما لا يحـسـنـون ، يرصدون الزلة ، ولا يبصرون شوامخ الصواب ويتتبعون الهفوة ، ولا يرجون لمجتهد ثواباً !؟
إنه وإن ولى زمان كان يُسـتـحى فيه من الجهل ، فقد أطل زمان احتاج فيه علماؤه ودعاته إلى أن يعتذروا مما عندهم من العلم إذا قاموا بحقه واجتهدوا في نشره وتبليغه للناس ، كل ذلك حتى لا تتهم النوايا ، ولا تحمل على غير محاملها الطوايا! وكأني بـهـــم يرددون مقالة عبد الله بن مسلم بن قـتيبة لـمّـا أخرج كتاباً استدرك فيه على (أستاذه) أبي عبيد القاسم بن سلام أسماه

(إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد) ، فقال رحمه الله بعد أن كثر عاذلوه وتصدى له شانئوه ومبغضوه من جملة ما قاله:
»... وقد كنا زماناً نعتذر من الجهل ، فقد صرنا الآن نحتاج إلى الاعتذار من العلم ، وكنا نؤمل شكر الناس بالتنبيه والدلالــة ، فصرنا نرضى بالسلامة ، وليس هذا بعـجـيـب مع انقلاب الأحوال ، ولا ينكر مع تغير الزمان وفي الله خلف وهو المستعان« ، إنه لسان حال كثير من دعاة الإسلام وعلمائه في ظل تكالب الأعداء، وكيد الحساد ، وظلم ذوي القربى، وتواطؤ السواد على الصمت والرضى بالسلامة ، ونقل الأخبار من غير توثيق أو تمحيص.

أناس أمِنّاهم فبثوا حديثنا فلما قصرنا السير عنهم تقوّلوا

الورقة الأخـيرة

الدعاة بين رجل ورويجل

أحمد بن عبد الرحمن الصـويان

الأحداث في العالم الإسلامي تتلاحــق ، والمتغيرات السياسية تتابع والصراع بين الإسلام والكفر ينتقل من طور إلى طور ومن دائــرة إلى أخرى والمسلمون في جميع الأحوال كالأيتام على موائد اللئام!

ولقد ورثت الصحوة الإسلامية المعاصرة تركة مهترئة من الانحراف والتخلف الذي أصاب الأمة الإسلامية بعامة ، نتيجة قرون مـتـتـابعـة من العجز والضعف ، ولن ينهض بها من هذه الكبوة جهود أفراد معدودين مهما بلغت إمكاناتهم وقدراتهم ، بل هي في حاجة لكل الطاقات والجهود يُكمل بعضها بعضاً ، ويُسدّد بعـضـهـا بعضاً... والعمل الإسلامي بفضل الله تعالى سائر بكل ثقة واطمئنان ، يشق طريقه على الرغــم مـن كثرة العراقيل والعقبات، ولـكـن ألم يـسـأل الواحد منا نفسه في يوم من الأيام: ما هو دوري في هذه المسيرة؟! وماذا قدّمت لخدمة هذا الدين؟!

هل يكفي أن يـبـقـى الإنسان متفرجاً ، متابعاً لمسيرة الصحوة الإسلامية من بُعد لا يتجاوز دوره التشجيع والـتـعـاطـــف...؟! هل يكفي أن يكون دور الإنسان تكثير سواد الصالحين فحسب...؟! أيجوز أن يقـتـصـر الــدور عـلـى الحوقـلـة والاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها؟!

لا شك بأن هذه سلبية مفرطة ، أقعدت كثيراً من الناس عــن الإنتاج والعطاء ، وإننا نملك طاقات هائلة بحمد الله تعالى ولكنها طاقات كامنة خاملة، لتم تُـسـخـر التسـخـيـر الأمثل لخدمة الأمة، ولقد كُبلت كثير من هذه الطاقات بآسار من العجز والضعف، حتى أصبحنا نرى جموعاً غفيرة من الصالحين ، ولكن مع الأسف الشديد حالهم كما وصفهم الشاعر:

يُثقلون الأرض من كثرتهم ثم لا يُغنون في أمر جلل

إن الثروة الحقيقية التي تملكها الأمة ليس في الأموال أو الأجهزة والمعدات ونحوها، وإنما هي في الإنسان الجاد الذي يشعر بالمسؤولية وعظم الأمانة.
وإننا في مرحلة تقتضي أن يُفكر الإنسان كيف يستطيع أن ينتج ، بل كيف ينتج بأكثر من طاقته..! ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا وجدت الهمّة العالية والعزيمة الصادقة ، التي تتطلع إلى أفق عال وقمّة سامقة من العطاء والإبداع ولا ترضى بالقليل من العمل.
فلا يقتل الطموحات إلا استصغار الإنسان نفسه ، يُكبلها بالعجز ، حتى يصل إلى حد الشلل الذي يعوقه عن الحركة والإنتاج ، وإن طاقة الإنسان تتآكل غالباً حينما يزدري الإنسان نفسه ، ويشعر أنه ضعيف لا يستطيع أن ينجز عملاً أو يبدع أمراً. وفي كثير من الأحيان لا يكتشف الإنسان طاقاته ومواهبه إلا من خلال التجارب.
وإنتاج المرء غالباً يعتمد على مقدار طموحه وهمته، فالإنسان الطموح هو الذي يجعل أمامه هدفاً عالياً ، حتى ولو كانت قدراته لا تؤهله لذلك الآن لأنه سوف يحرص على تنمية قدراته للوصول إلى هدفه ، فإذا نمت القدرات فإنه لن يبقى عند هدفه الأول ، بل سوف تنمو طموحاته وتزداد ، وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية: »العامة تقول: قيمة كل امريء ما يُحسن والخاصة تقول: قيمة كل امريء ما يطلب« (1).

الهوامش:

(1) نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين (3/3).

تمت بعون الله والحمد لله رب العالمين